الحضيض

مسرحية

للكاتب الروسى
ماكسيم جوركى

ترجمة : عبد الحليم البشلاوى

١٧

مكتبة الفنون الدرامية

تصدرها
مكتبة مصر

يحررها
عبد الحليم البشلاوى

مكتبة الفنون الدرامية

١٧

الحضيض

دار مصر للطباعة
٣٧ شارع كامل صدقى "الفجالة"

مكتبة الفنون الدرامية

(١٧)

مكتبة الفنون الدرامية (١٧)

الحضيض

مسرحية

في أربعة فصول

للكاتب الروسي
ماكسيم جوركي

ترجمة
عبد الحليم البشلاوي

سبتمبر ١٩٦٢

تصدرها
مكتبة مصر

يحررها
عبد الحليم البشلاوي

مكتبة الفنون الدرامية

القصد من هذه المكتبة أن تسد ما بالمكتبة العربية من فراغ كبير . **فهى تستهدف ترجمة** روائع المسرحيات العالمية ، وكل ما يتصل بالفنون الدرامية والاذاعية من تمثيل وكتابة واخراج. ولعل هذا هو أول مجهود منظم يبذل فى هذا السبيل .

صدر الكتاب الأول
فى اكتوبر ١٩٥٨

الناشر

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدقى - الفجالة - القاهرة

The Lower Depths

by

MAXIM GORKY

كتب تصــدر تبـاعاً :

السينما آلة وفن

للكاتب الأمريكى : ألبرت فولتون

الابن الضــال

للكاتب الأمريكى : چاك رتشاردسون

راشــومون

للـكاتب اليابانى : أكوتاجاوا

ابسن النرويجى

للكاتبة الانجليزية : م . برادبروك

صـــدر من هذه المكتبة :

١ ـ الاحرار

للكاتب الأمريكى : سدنى كنجزلى

٢ ـ الرجل العجوز

للـكاتب الروسى : ماكسيم جوركى

٣ ـ بيت الدمية

للكاتب النرويجى : هنريك ابسن

٤ ـ الينبوع

للكاتب الأمريكى : يوجين اونيل

٥ ـ قطة على سطح من الصفيح الساخن

للكاتب الأمريكى : تنيسى وليامز

٦ ـ الشائعة

للكاتب الانجليزى : تشارلز مونرو

٧ ـ عيوب التاليف المسرحى

للنـــاقد الأمريكى : وولتر كير

٨ ـ ثلاث تمثيليات للتليفزيون

للكاتب الأمريكى : بادى تشايفسكى

٩ ـ مسرحية فى القصر

للـكاتب المجرى : فيرينك مولنار

١٠ ـ الأب ومس چوليا

للكاتب السويدى : اوجست ستريندبرج

١١ ـ صيف ودخان

للكاتب الأمريكى : تنيسى وليامز

١٢ ـ الزواج

للكاتب الأيرلندى : چورج برنارد شو

١٣ ـ الحارس

للكاتب الانجليزى : هارولد پنتر

١٤ ـ ميراث الريح

للكاتبين الأمريكيين : چيروم لورنس و روبرت لى

١٥ ـ الاتصال بالجماهير

للكاتب الأمريكى : اريك بارنو

١٦ ـ البطة البرية

للكاتب النرويجى : هنريك ابسن

١٧ ـ الحضيض

للكاتب الروسي : ماكسيم جوركي

هذه المسرحية

بقلم : عبد الحليم البشلاوى

لم يكن الا طفلا فى الثامنة من عمره عندما رأى زوج أمه ينهال بالضرب على أمه التى كان السل ينهش من صدرها الحنايا والضلوع ، والتى لم يكن بها من الرمق ما يمكنها من الدفاع عن نفسها ، وقد تكأكأت وتقوس ظهرها تضرع الى الله أن يبعث اليها ملاك الموت منقذاً رحيماً من جحيم البشر . لم يكن الا طفلا فى الثامنة من عمره . ولكن المنظر كان من البشاعة والقسوة بحيث استفز ذلك الطفل المسكين فاندفع وفى يده سكين نحو ذلك الرجل الذى كان يعذب أمه المحتضرة محاولا تخليصها من قبضته . ولكن هل كانت تلك الحياة البائسة قاصرة على البيت الذى كان يؤوى ذلك الطفل ؟ لقد مضت الحياة بذلك الطفل وساقته سوقاً أليماً ليهيم على وجهه فى أنحاء روسيا ويبلو ما كان يبلوه سواد الشعب الروسى من املاق وفاقة ومسغبة ، وما كان يجرعه من كئوس المر والحنظل والعيش الذليل . مارس مهناً شتى وضيعة ، وانخرط فى سلك العمال تارة والحجاج أخرى . وبين الآن والآن كان ينضم الى جيش المتعطلين المتشردين الذين لم يكونوا يجدون المأوى أو ما يمسك الرمق . فى كل مراحل حياته ، وأيان ذهب ، كان يشهد

بشراً يسامون الخسف والعسف والهوان ، ويعيشون عيشة خيراً منها عيشة البهائم والكلاب . كان يرى بشراً يعيشون وهم عاجزون عن أن يدركوا الحكمة من حياتهم . وكان يرى النساء تهان وتضرب وتضطر الى العمل ساعات طوالا . ومن ناحية أخرى كان طغيان القياصرة وزبانيتهم شديد الوطأة لا ينفصم له قيد . فساد يستشرى فى كل مكان . فساد بكل أنواعه وموبقاته : تهتك واستهتار ورشوة ، وغش وعربدة وبذخ ، وفسق وميسر ، وخيانة وخنوع ونفاق . قصور وبساتين وحدائق لا يدرك البصر مداها ، واستمتاع بكل أطايب الحياة وملذاتها ، وانغماس فى كل شهواتها . مزارع وضياع شاسعة يرثها السعيد الحظ فيرث الأرض ومن عليها . يرث « رقيق الأرض » الذين ان هم جرؤوا ففروا من استعباد المالك ، لما وجدوا من يقبلهم للعمل فى مزارعه . والملايين الضائعة لا نصير لها ولا معين . الجماهير الجائعة لا رجاء لها ولا أمل . يثور الشعب فيحصده رصاص الجيش . ويغتال القيصر فيخلفه قيصر آخر تحميه حراب الجيش . فما عسى أن يفعل الشعب وهو يواجه القيصر والجيش معاً ؟ أى نوع من الحياة هذا ؟ حياة هى أم جحيم ؟ .

بل هو الدرك الأسفل . هو « **الحضيض** » !

***

هذا هو « **الحضيض** » الذى صوره ماكسيم جوركى فى مسرحيته العظيمة التى بلغت ذروة الشهرة فى دنيا المسرح والدرامة . عشرة أشخاص يعيشون كلهم معاً فى غرفة كئيبة

مظلمة تحت الأرض . عشرة أشخاص من المنبوذين أو ممن يسمون « حثالة » المجتمع ، خليط غريب من أحط الطبقات التى كانت تكوّن الغالبية العظمى للشعب الروسى فى ذلك الحين . ومن بين هؤلاء العشرة امرأة يحتضرها الموت وتلفظ أنفاسها الأخيرة . ويظل شبح الموت الرهيب يخيم على الغرفة طوال الفصلين الأولين الى أن تقضى نحبها . والى هذه المسكينة يأتى الحاج لوكا فيزرع فى نفسها الأمل فى الحياة الآخرة حيث يغفر الله لعباده ذنوبهم ويعوضهم عما قاسوه فى الحياة الدنيا . يأتى هذا الحاج الى ذلك الكهف بفلسفة خاصة هى فلسفة « الكذبة البيضاء » التى ان لم تجد فهى لن تضر . فهو يمنى الناس بالمستقبل ويحضهم على المحبة والتعاون والخير . وهو يذكرنا بشخصية الدكتور « رلنج » فى مسرحية ابسن المعروفة « البطة البرية » . فاذا ماتت هذه المرأة المصدورة عجز زوجها صانع الأقفال « كليش » عن دفع ثمن الكفن ونفقات الدفن فيجد العون من رفاقه فى البؤس والتشرد . وهذا « پبل » شيطان بشرى ، ولص بالوراثة ، يقول عن نفسه « منذ صغرى وأنا أحترف اللصوصية . لم أسمع أحداً ينادينى الا بقوله « ڤاسيا اللص. ڤاسيا بن اللص » . وهذا هو «البارون» لا أحد يدرى على وجه التحقيق من هو ومن أين جاء . ولكنه بالتأكيد يعيش عالة على تلك العاهر الطيبة القلب المتعطشة للحب « ناستيا » ... الى آخر تلك الجماعة التى أذلها الفقر فهى لا تجد العمل ، ومن ثمة لا تجد القوت .

ومن ناحية أخرى نرى فريقاً آخر يتردد على ذلك القبو وان كان لا يسكنه . نرى المالك « كوستليوف » الذى لا يتورع عن

أستنزاف دماء هذه الحثالة البائسة . ونرى زوجته التى تعشق اللص الشاب « پپل » الذى سئم حبها وهام غراماً بأختها « ناتاشا » . وهو غرام سيذيقه حتفه فى النهاية .

* * *

هذا هو الحضيض الذى يقدمه لنا جوركى فى مسرحيته الخالدة . وهو حضيض لم يستمده من قراءاته ولا من تحرياته واستقصاءاته ، ولا حتى من مشاهداته ، وانما هو حضيض عاش فيه وخبره وبلاه وذاق مرارته وتجرع غصصه . هذه أحداث عاشها الكاتب فعاشت فى ذاكرته . ومن ثم كانت هذه المسرحية التى تمتاز بواقعية من نوع معين . هى **« واقعية قلبية »** نابعة من الاحساس والوجدان والقلب ، فلا نرى فيها الصنعة التى تلتزم الخطة المسرحية والصراع والحبكة وما الى غير ذلك من الأصول الدرامية ، وانما نجد صورة أو قطاعاً من الحياة يعرض علينا دون تزويق أو تنميق . لا نجد هنا **« الواقعية العقلية »** التى جاء بها كاتب النرويج العظيم « ابسن » عندما جعل « نورا » تختتم مسرحية « بيت الدمية » بمغادرتها البيت لأن زوجها لم يكن يعاملها معاملة الند للند ولم يكن يعترف لها بأية حقوق كأم وزوجة وامرأة لها كيان ككيان الزوج ، فخرجت وهى تصفق الباب خلفها تلك الصفقة الخالدة المدوية التى تركت رنيناً وصدى ، أو عندما جعل « هدڤيج » تطلق على نفسها الرصاص فى ختام مسرحية « البطة البرية » لكى تبرهن لأبيها على حبها له وبالتالى لا تفقد حبه لها . لا نجد هنا الواقعية العقلية التى استحالت على يد العبقرى الفريد « شو » الى مجرد نقاش وتبادل أفكار كما هى

الحال فى مسرحيته « الزواج » . لا . هذه واقعية عقلية لم يعرفها جوركى . وانما واقعيته ــ أو « طبيعيته » ان شئت ــ هى صرخة من اعماق قلبه باسم الملايين المحرومة من الزم ضروريات الحياة . باسم الشعب المهيض الجناح المهضوم الحقوق الذى كان يستغيث فلا يغاث ويستعين فلا يعان .

* * *

هذه الواقعية القلبية وهذا الصدق الوجدانى هما خير عوض عما يعوز مسرحية « الحضيض » من التزام الأصول الدرامية . كما أن شخصياتها واضحة كل الوضوح ، شخصيات حية ، متميزة ، لا اهتزاز فيها ولا قلقلة . تصرفاتها تنبىء عنها ، ولا يتناقض بعض هذه التصرفات مع بعضها الآخر . فنحن نشهد على المسرح قطاعاً واقعياً من حياة الناس . نرى طائفة حقيقية من اخواننا فى البشرية نجد لهم أمثالا واشباهاً يعيشون هذا العيش الذليل نفسه ويحيون تلك الحياة الوضيعة بعينها فى كل ركن من اركان المعمورة ، وفى كل بلد من بلاد العالم غنياً كان أم فقيراً ، رجعياً كان أم تقدمياً . وذلك هو حجر الزاوية فى كل اصلاح . تلك هى نقطة الضعف التى تعانيها الانسانية . فلما قامت الثورة كانت عاتية هوجاء ، دامية حمراء ، لم تبق ولم تذر . كان رد الفعل على قدر الفعل !

موجز القول ان جوركى قد تسامى بالواقعية الى ذروة رفيعة من تمجيد الانسان وحب الانسانية ، حتى لقد قال احد الكتاب انه « اذا كان (زولا) قد قضى حياته كلها أباً للطبيعية ، فقد كان

حرياً به أن يذهب الى المدرسة ليتعلم أبجدية فنه عند ركبتى ذلك الشاب الذى ولد فى نزنى نوفجورود : (جوركى) » .

وهذه الطبيعية هى التى جعلت من جوركى عوناً كبيراً لستانسلافسكى عندما اخرج هذه المسرحية لأول مرة على «مسرح الفن» بموسكو . فقد كان جوركى هو الذى يوجه الممثلين ويدربهم على اداء هذه الأدوار التى لم يكن لهم عهد بمثلها . بل ان جوركى اصطحب ستانسلافسكى وعدداً من الممثلين الى مغارات سوق خيتروف ليروا بأنفسهم هذه الطبقة من الناس وكيف تعيش . وقد كتب ستانسلافسكى عن ذلك فيما بعد فقال « لقد شحذت هذه الرحلة خيالى وملكة الخلق عندى اكثر من اية مناقشة او تحليل للمسرحية » .

***

صدرت هذه المسرحية فى عام ١٩٠٢ . ولعله لا يوجد من بين جميع مسرحيات جوركى ما يضاهيها فى القوة والشهرة سوى مسرحية « ايجور بولتشوف » . وهذه المسرحية التى كتبها فى عام ١٩٣٢ دليل على أن أعمال جوركى المسرحية كانت الجسر الذى عبرت عليه الدرامة الروسية الطريق من روسيا القيصرية الى روسيا السوفيتية .

وهنا نحيل القارىء الى الكتاب الثانى من « مكتبة الفنون الدرامية » الذى صدرت به ترجمة مسرحية جوركى « الرجل العجوز » فقد حوى مزيداً عن حياة جوركى ومؤلفاته .

يولية ١٩٦٢ عبد الحليم البشلاوى

« ان جوركى رجل مدمر لا بد له أن يدمر كل ما يستحق التدمير . هذا هو مكمن كل قوته ، ومن أجل ذلك استدعته الحياة » .

تشيخوف

« ما اروع الانســـان ! ما اشـــد ما فى رنين هـــذه الـكلمة من كـبرياء . . . الانسان ! لابد أن يكون الانســـان موضع احترام وليس موضع شفقة . فالشفقة مهينة » .

جوركى

على لسان ساتين

« كل واحد منهم يظن انه انما يعيش لنفسه ، بينما الواقع انه يعيش ليجعل الحياة افضل ... » .

جوركي

على لسان لوكا

الحضيض

الشخصيات

ميخائيل ايفانوفتش كوستليوف		Mikhail Ivanovich Kostylyov
صاحب النزل	(٥٤ عاماً)	
فاسيليسا كاربوفنا		Vasilisa Karpovna
زوجتـــه	(٢٦ عاماً)	
ناتاشـــا		Natasha
اختهـــا	(٢٠ عاماً)	
أبرام ميدفيديف		Abram Medvedev
خالهما (شرطي)	(٥٠ عاماً)	
فاســـيا پپل		Vasya Pepel
	(٢٨ عاماً)	
أندريه كليش		Andrei Kleshch
صانع اقفـــال	(٤٠ عاماً)	
أنا		Anna
زوجتـــه	(٣٠ عاماً)	
ناســـتيا		Nastya
من فتيات الشوارع	(٢٤ عاماً)	
كفاشـــنيا		Kvashnya
بائعة كعك متجولة	(٤٠ عاماً)	

بينوف	صانع قبعات	(٤٥ عاماً)	Bubnov
البارون		(٣٣ عاماً)	The Baron
ساتين	كلاهما حوالى الأربعين		Satin
الممثل			The Actor
لوكا	حاج	(٦٠ عاماً)	Luka
اليوشكا	اسكافى	(٢٠ عاماً)	Alyoshka
كريفوى زوب	من عمال الموانى		Krivoi Zob
التترى			The Tartar

الفصل الأول

(قبو أشبه بالكهف . سقفه المعقود (المقوس) مسود من أثر الدخان ، وقد سقط عنه الطلاء فى عدة أماكن . يهبط الضوء من نافذة مربعة فى مؤخرة المسرح فى أعلى اليمين . حاجز رقيق يجعل من الركن الأيمن غرفة (پيل) . بالقرب من باب هذه الغرفة مصطبة (بينوف) . فرن روسى كبير يحتل الركن الأيسر . باب فى الجدار الحجرى الى اليسار يؤدى الى المطبخ حيث ينام (كفاشنيا) و (البارون) و (ناستيا) . سرير عريض تحيط به ستائر قطنية قذرة يستند الى الحائط بين الفرن والباب . مصاطب [1] مبنية حول جميع الجدران . فى مقدمة المسرح الى اليسار قرمة خشبية الى جانبها منجلة وسندان . خلف السندان يجلس (كليش) على قرمة أخرى واطئة يجرب بضعة مفاتيح فى قفل قديم وقد تبعثرت حوله على الأرض حلقات مفاتيح مختلفة

(١) المصاطب المبنية فى هذه الغرفة لصق الحائط تستعمل للنوم وقد آثرنا اختيار هذه الكلمة تمييزاً لها عن السرير وعن الدكة اللذين ورد ذكرهما فى تقديم هذا المنظر (المترجم)

وساموفار [1] خرب من الصفيح ومطرقة ومبارد وآلات أخرى . فى وسط الغرفة مائدة كبيرة ودكتان وكرسى بدون مسند ، جميعها قذرة غير مطلية . (كفاشنيا) مكبة على ساموفار موضوع على المائدة . البارون يمضغ قطعة من الخبز الأسود . (ناستيا) جالسة مستندة بمرفقيها الى المائدة مستغرقة فى قراءة رواية . يسمع صوت (أنا) وهى تسعل وراء ستائر السرير . (بينوف) جالس على مصطبته وعلى ركبتيه قالب قبعة يحاول صنع قبعة من قطع من القماش مأخوذة من بنطلون قديم . وبالقرب منه خرق وقطع من الشمع والورق المقوى لصنع حوافى القبعات . (ساتين) ، الذى استيقظ توا من نومه ، مضطجع على مصطبته يزمجر . الممثل يسعل ويتحرك فوق الفرن [2] . بحيث لا يراه النظارة)

(صبيحة يوم فى أوائل الربيع)

---

(١) هو جهاز روسى خاص لعمل الشاى .
(٢) الفرن الروسى شبيه بالفرن المألوف فى ريفنا المصرى (المترجم)

البارون : **وبعد ذلك ؟**

كفاشنيا : قلت له لا ، لا ، يا عزيزى . قلت له لا ، لا . ابق مكانك . أنا جربت هذا فعلا ، ولن تستطيع أن تجرنى أمام القسيس مرة أخرى حتى لو أعطيتنى مائة من الجمبرى المشوى .

بينوف : **(الى ساتين)** لماذا تزمجر هكذا ؟

(ساتين يزمجر من جديد)

كفاشنيا : أنا ... امرأة حرة ... رئيسة نفسها ، أذهب وأقيد اسمى فى جواز سفر شخص آخر ؟ أنا ... أصبح تابعة لأحد الرجال ؟ لا وحياتك . لا ، لا . حتى ولو كان هو ملك أمريكا نفسه .

كليش : كذب !

كفاشنيا : ماذا تقول ؟

كليش : كذب ! ستتزوجين أبرام !

البارون : **(يختطف الكتاب من ناستيا ويقرأ العنوان)** الحب المميت ! **(يضحك)**

ناستيا : **(تحاول استعادة الكتاب)** أعطنى الكتاب . هات . لا أحب هذا المزاح .

(يعاكسها البارون فيلوح بالكتاب فى الهواء)

كفاشنيا : **(الى كليش)** أنت تيس عنيد عجوز ! نعم . كذب ! كيف تجرؤ على اهانتى بهذا الشكل ؟

البارون : **(يضرب ناستيا بالكتاب على رأسها)** أنت حمقاء يا ناستيا .

ناستيا : **(تنتزع منه الكتاب)** أعطنى الكتاب .

كليش : يالك من سيدة رائعة ! ولكنك مع ذلك ستتزوجين ابرام . هذا هو كل ما تنتظرينه .

كفاشنيا : نعم ، نعم بالطبع . وماذا غير ذلك ؟ كما سقت أنت زوجتك الى الموت ؟

كليش : اخرسى يا كلبة ! ليس هذا من شأنك .

كفاشنيا : أوهو ... ! لا تحب أن تسمع الحق ؟ هه ؟

البارون : ها هما يبدآن . ناستيا ! ألا تسمعين ؟

ناستيا : **(دون أن ترفع رأسها)** أوه ، أخرج من هنا .

أنا : **(تطل برأسها من خلف الستائر)** طلع النهار . بالله لا تصيحوا ! لا تتشاجروا !

كليش : عادت الى الأنين .

أنا : كل يوم من أيام الله المباركة ! دعونى على الأقل أموت فى سلام !

بينوف : لاتستطيعين أن تبعدى الموت بالتقليل من الضجة .

كفاشنيا : **(متجهة نحو أنا)** كيف تعيشين مع هذا الشيطان يا عزيزتى المسكينة ؟

أنا : دعينى فى حالى . اذهبى عنى .

كفاشنيا : هيه ! ستموتين شهيدة . هل تحسن صدرك اليوم ؟

البارون : كفاشنيا . حان وقت الذهاب الى السوق .

كفاشنيا : لحظة واحدة **(الى أنا)** الا تحبين بعض الكعك الساخن ؟

أنا : لا . شكراً . لماذا اتعب نفسى بالأكل ؟

كفاشنيا : حاولى . انه ساخن ولذيذ . سيخفف من سعالك . سأتركه فى هذا الوعاء حتى تأخذى منه عندما تشائين . هيا يا لورد ! **(الى كليش)** بررر ! يا غول !

(تذهب الى المطبخ)

أنا : **(تسعل)** يا رب !

البارون : **(يدفع ناستيا فى رأسها بخبث)** اتركى هذا الكتاب يا مغفلة !

ناستيا : **(متذمرة)** أخرج . أنا لا أقف فى طريقك . هه ؟

(يخرج البارون وراء كفاشنيا وهو يصفر)

ساتين : **(ينهض فوق مصطبته)** من الذى ضربنى الليلة الماضية ؟

بينوف : وماذا يهمك من ذلك ؟

ساتين : لا شىء على ما أظن . ولكن لماذا ضربونى ؟

بينوف : هل كنت تقامر ؟

ساتين : نعم .

بينوف : هذا يفسر لك سبب الضرب .

ساتين : الأوغاد !

الممثل : **(يطل برأسه من فوق الفرن)** سيضربونك حتى الموت فى يوم من الأيام .

ساتين : أنت حمار !

الممثل : لمـاذا ؟

ساتين : لأن الانسان لا يموت مرتين .

الممثل : **(بعد فترة صمت)** ولماذا لا ؟ لا أدرى لماذا لا ؟

كليش : **(للممثل)** انزل من فوق هذا الفرن ورتب الغرفة . أم تخشى أن تلوث يديك ؟

الممثل : ليس هذا من شأنك .

كليش : انتظر حتى تأتى ڤاسيليسا فتريك شأن من هو .

الممثل : لتذهب ڤاسيليسا الى جهنم ! الدور اليوم على البارون ليرتب الغرفة . يا بارون !

البارون : **(داخلا من المطبخ)** لا وقت لدى لترتيب الغرفة . أنا ذاهب الى السوق مع كفاشنيا .

الممثل : وأنا مالى . تستطيع أن تذهب الى السجن ان شئت . ولكن اليوم دورك لكنس الغرفة . لن أقوم بعمل شخص آخر .

البارون : اذهب ألى جهنم ! ناستيا ستكنس الغرفة . ايه ، « الحب المميت » ! اصحى !**(يختطف الكتاب من يديها)**

ناستيا : **(تقف)** ماذا تريد ؟ أعطنى الكتاب . ظريف ، هه ؟ وتسمى نفسك چنتلمان ؟

البارون : **(يعطيها الكتاب)** اكنسى الغرفة عنى يا ناستيا . أنت فتاة طيبة .

ناستيا : **(ذاهبة الى المطبخ)** لم يبق الا هذا !

كفاشنيا : **(عند باب المطبخ ، تخاطب البارون)** تعال . سيدبرون أمرهم هنا بدون مساعدتك . ايه ، أنت يا ممثل . لقد طلبوا منك أنت ، فكن لطيفاً . لن يكسر الكنس ظهرك .

الممثل : هيه ! دائماً أنا ! لا أدرى لماذا ...

البارون : **(يدخل من المطبخ تتدلى من على كتفيه سلتان مملوءتان بأوان فخارية مغطاة بخرق قذرة ، السلتان معلقتان بعصا خشبية بحيث تبدو الثلاثة على شكل الخرج)** أثقل من المعتاد اليوم !

ساتين : أمن أجل هذا ولدت (بارون) ؟

كفاشنيا : **(للممثل)** ابدا الكنس ، الآن.

(تهم بالخروج ، ولكنها تدع البارون يخرج أولا)

الممثل : **(ينزل من على الفرن)** استنشاق الغبار يضرنى **(بكبرياء)** ان أنسجة جسمى مسممة بالكحول **(تنتابه حالة هم وتفكير ، ويغوص جالساً على احدى المصاطب)** .

ساتين : الأنسجة ... النسيج .

أنا : اندريه متريتش ...

كليش : والآن ، ماذا تريدين ؟

أنا : كفاشنيا تركت لى بعض الكعك . خذه وكله .

كليش : **(يتجه اليها)** وانت ؟ الا تريدينه ؟

أنا : لا . لماذا آكل ؟ أنت رجال شغال . فى حاجة الى غذاء .

كليش : هل أنت خائفة ؟ لا تخافى . فمن يدرى ؟ ربما . . .

أنا : هيا ، كلها . أنا مريضة جداً . لا أظن ان الوقت يطول بعد الآن .

كليش : **(يهم بالخروج)** لا تحزنى . ربما تتحسن صحتك . هذا يحدث فى بعض الأحيان **(يذهب الى المطبخ)** .

الممثل : **(بصوت عال كما لو كان قد أفاق فجاة)** امس قال لى الدكتور فى العيادة « أنسجة جسمك تسممت تماماً من الكحول » .

ساتين : **(مبتسماً)** منسوجات .

الممثل : **(فى اصرار)** لا تقل (منسوجات) (انسجة) .

ساتين : منسوجات !

الممثل : **(يلوح بيده فى وجهه)** عبيط ! ولكن كلامى جد . نعم ، جد . اذا تسممت انسجة جسمك ، فان كنس الأرض يضرك . يضرك استنشاق هذا الغبار .

ساتين : مكروبات حية ! هه !

بينوف : ما هذه الهلوسة ؟

ساتين : كلمات . وهذه كلمة أخرى : اللاامماتى !

بينوف : اذن فلماذا تقولها ؟

ساتين : على سبيل المزاح . لقد سئمت كل هذه الكلمات التى يستعملها الناس . سئمت كل الفاظنا . فقد سمعتها كلها الف مرة .

الممثل : فى مسرحية « هاملت » يقول المثلون : « كلمات ، كلمات ، كلمات » مسرحية رائعة ! قمت فيها بدور حفار القبور .

كليش : **(داخلا من المطبخ)** ومتى تبدأ فى دور الكناس ؟

الممثل : كن فى حالك ! **(يدق صدر نفسه بيده)** « أوفيليا ! أيتها الحورية ! الا فلتظل ذنوبى كلها بادية فى الأفق » .

(من على مبعدة خارج المسرح تسمع أصوات مختلطة وصيحات وصفارات الشرطة . ينكب كليش على عمله محدثاً صوتاً حاداً بمبرده) .

ساتين : أحب الكلمات الغريبة الغير المفهومة . عندما كنت صبياً أشتغل فى أحد مكاتب التلغراف ، كنت اقرأ كثيراً .

بينوف : اذن فقد كنت عامل تلغراف أيضاً ؟

ساتين : نعم **(يضحك ضحكة صغيرة)** الكتب القيمة قليلة ، والكلمات الغريبة كثيرة . لقد كنت فى يوم من الأيام رجلا متعلماً خير تعليم . هل عرفت هذا ؟

بينوف : سمعت هذا مائة مرة . وايه يعنى ؟ ما قيمة هذا

الآن ؟ خذ حالتى أنا مثلا . كنت من قبل أشتغل فى صناعة الفراء . كان لى محلى الخاص . كانت يداى دائما صفراوين من صبغ الفراء ، يداى وذراعاى ، لغاية الكوع . وكنت أظن أنها ستظل كذلك الى أن أموت . كنت أظن أننى سأموت بهاتين الذراعين الصفراوين . والآن أنظر اليهما . مجرد قذارة ، لا غير . هه !

ساتين : وايه يعنى ؟

بينوف : لا شيء . هذا كل ما فى الأمر .

ساتين : ما هو قصدك اذن من هذه الخطبة ؟

بينوف : لا قصد على الاطلاق . مجرد فكرة . لقد اتضح أنه مهما يكن حرصك فى طلاء الظاهر ، فان الطلاء يزول . كله يزول .

ساتين : أوه ، عظامى تؤلمنى أشد الألم !

الممثل : (**يجلس محتضناً ركبتيه**) التعليم لا شيء ، المهم هى الموهبة . كنت أعرف ممثلا لم يكن يستطيع أن يحفظ دوره الا بقراءته مقطعاً بعد آخر . ولكنه عندما كان يمثل ، كان المسرح يضج ويصخب من انفعال الجماهير .

ساتين : بينوف ، أقرضنى خمسة كوبك .

بينوف : ليس معى الا اثنان .

الممثل : أقول لك ان الموهبة هى التى تخلق الممثل . والموهبة معناها أن تؤمن بنفسك ، بمقدرتك .

ساتين : أعطنى خمسة كوبك وأنا أومن بأنك عبقرى ، بطل ، تمساح ، ضابط شرطة ! كليش ، أعطنى خمسة كوبك .

كليش : اذهب الى الشيطان ! أمثالك كثيرون .

ساتين : لا داعى للسباب ، أرجوك . كأننى لا أعلم أنك لاتمتلك كوبكاً واحداً ؟

انا : أندريه متريتش ... لا أستطيع أن أتنفس ... الجو خانق ... جداً ...

كليش : وماذا تنتظرين منى أن أفعل ؟

بينوف : افتح باب الطرقة .

كليش : آه ، نعم ، بالطبع . أنت هناك على سريرك ، وانا هنا تحت على الأرض . أنا مصاب ببرد .

بينوف : (**بهدوء**) لست أنا الذى أريد فتح الباب . زوجتك هى التى تطلب ذلك .

كليش : (**مكتئباً**) الحاجات التى يطلبها الانسان لا عد لها ولا حصر .

ساتين : رأسى تدور . لماذا يضرب الناس بعضهم بعضاً على الرأس ؟

بينوف : ليس على الرأس فقط ، وانما على سائر أجزاء الجسم (**ينهض**) سأخرج لأشترى بعض الخيط . لماذا تأخر صاحب الملك وزوجته اليوم ؟ لعلهما تشاجرا (**يخرج**) .

(تسعل أنا . يرقد ساتين بلا حراك ، ويداه تحت رأسه) .

الممثل : **(ينظر حوله فى بؤس ثم يتجه الى أنا)** تشعرين بتعب ؟

أنا : الجو خانق ... جداً ...

الممثل : سآخذك الى الطرقة اذا أردت . هيا ، انهضى **(يساعدها على النهوض ، ويلف بعض الخرق على كتفيها ، ثم يقودها الى الخارج)** هكذا . حاسبى . انا نفسى مريض .... جسمى مسمم من الكحول .

كوستليوف : **(عند الباب)** تتريضين ؟ منظركما جميل جدا . خروف ونعجة !

الممثل : افسح الطريق . الا ترى أننا مريضان ؟

كوستليوف : نعم ، نعم ، بالطبع **(يهمهم باحدى تراتيل الكنيسة من أنفه ، ثم يتطلع فى الغرفة بارتياب وهو يستدير برأسه كأنما يصغى الى شىء فى غرفة پپل . بينما يقوم كليش ــ فى خبث ــ بشخللة المفاتيح واستعمال مبرده وهو يرقب حركات صاحب الملك من تحت حاجبيه)** هذا وقت البرادة ؟

كليش : ماذا تقول ؟

كوستليوف : أقول هذا وقت البرادة ؟ **(صمت)** ماذا كنت أريد ان أقول ؟ **(يتحدث بسرعة فى صوت منخفض)** هل جاءت زوجتى ؟

كليش : لم أرها .

كوستليوف : **(يتسلل نحو الباب متجهاً الى غرفة پپل)** انت تشغل مساحة كبيرة باثنين روبل فى الشهر ، هه ؟ سرير ، ومكان بجانبه لتجلس فيه ، هيه ! هذا يساوى خمسة روبلات على الأقل . سأزيد الايجار نصف روبل .

كليش : زده حبلا واشنقنى الى ان أموت . انت الآن فى آخر أيام حياتك ، وما زلت تفكر فى انتزاع نصف روبل آخر .

كوستليوف : ولماذا اشنقك ؟ من الذى يستفيد من هذا ؟ عش ، وليكن الله فى عونك . ولكننى سأزيد نصف الروبل على أية حال . سأشترى بعض الزيت لمصباح الأيقونة واوقده أمام الصورة المقدسة ، قرباناً منى للتكفير عن خطاياى ، وعن خطاياك أيضاً . انت لا تفكر أبداً فى خطاياك ، هه ؟ أنت رجل شرير يا أندريه ! زوجتك تقضى نحبها من دناءتك . لا أحد يحبك . لا أحد يحترمك . تستعمل هذا المبرد وتثير أعصاب الناس ....

كليش : **(صارخاً)** ألم تأت هنا الا لتسمم حياتى ؟

(ساتين يزأر)

كوستليوف : **(مفزوعاً)** يا حفيظ ! ما هذا ...

الممثل : **(داخلا)** أعددت لها مكاناً فى الطرقة ، بعد ان غطيتها جيداً .

كوستليوف : قلبك طيب يا أخ . هذا عمل طيب . سيضاف كل هذا الى حسابك .

الممثل : متى ؟

كوستليوف : فى الآخرة يا أخ ! فهنـاك كل شىء بحساب ، كل عمل ولو كان صغيراً .

الممثل : لعلك تكافئنى على طيبتى هنا ، الآن ؟

كوستليوف : وكيف أستطيع ذلك ؟

الممثل : بشطب نصف ما على من ديون .

كوستليوف : هيه ! أنت تمزح . واحدة أخرى من نكاتك الهزيلة ! كأنما القلب الطيب يكافأ بالمال . الطيبة هى أعلى مراحل البركة . أما الدين فدين . ومعنى هذا انه لا مفر من دفعه . أما بخصوص الطيبة التى تبديها نحو رجل عجوز مثلى ، فلا يجوز أن تطلب عليها مكافأة .

الممثل : أنت عجوز حقير !

(يخرج الى المطبخ . ينهض كليش ويخرج الى الردهة)

كوستليوف : **(يخاطب سـاتين)** هذا البراد . هـرب . هو لا يحبنى .

ساتين : لا يمكن أن يحبك الا الشيطان !

كوستليوف : **(مداعباً)** لماذا تقول لى كلاماً كهذا ؟ انا ، الذى احبكم جميعاً . الا أعلم انا أنكم جميعاً اخوتى ؟

أخوتى الفقراء السيئو الحظ ؟ **(فجاة وبسرعة)** ايه ... أ ... قاسيا ... هل هو هنا ؟

ساتين : ابحث عنه .

كوستليوف : **(يذهب فيطرق الباب)** قاسيا !

(يظهر الممثل عند باب المطبخ يمضغ شيئاً)

پيل : من ؟

كوستليوف : أنا . أنا يا قاسيا .

پيل : ماذا تريد ؟

كوستليوف : **(مبتعداً)** افتح الباب .

ساتين : **(دون أن ينظر الى كوستليوف)** سيفتح البـاب فتراها .

(يصدر الممثل صوتا من حلقه)

كوستليوف : **(فى أرتباك ، بصوت منخفض)** ماذا ؟ من هناك ؟ ماذا قلت ؟

ساتين : أنت تكلمنى ؟

كوستليوف : ماذا قلت ؟

ساتين : لا شىء . كنت أكلم نفسى .

كوستليوف : حاسب على الفاظك يا أخ : النكتة نكتة ، ولكن فى الوقت المناسب ! **(يطرق الباب بشدة)** قاسيا !

پيل : **(يفتح الباب)** لماذا تأتى الى هنا وتضايقنى ؟

كوستليوف : **(يطل فى الغرفة)** أنا ... أنت ...

پيل : هل أحضرت النقود ؟

كوستليوف : أريد أن أتحدث معك فى بعض الأعمال .

پيل : هل أحضرت النقود ؟

كوستليوف : أى نقود ؟ انتظر لحظة . . .

پيل : سبعة روبلات ثمن الساعة . أين هى ؟

كوستليوف : أى ساعة يا ڤاسيا ؟ أنت . . .

پيل : حاسب ! حاسب ! رآنى الناس وانا أبيع لك هذه الساعة أمس بعشرة روبلات . وصلنى منها ثلاثة ، باقى سبعة . هاتها . لماذا تقف هكذا ؟ لماذا ترابط هنا تزعج كل واحد بدلا من الانصراف الى عملك ؟

كوستليوف : شش ! لا تغضب يا ڤاسيا . الساعة . . . انها . . .

ساتين : بضاعة مسروقة .

كوستليوف : أنا لا أتعامل فى البضاعة المسروقة . كيف تجرؤ . . .

پيل : **(يقبض على كتفيه)** لماذا تضايقنى ؟ ماذا تريد ؟

كوستليوف : أنا ؟ لا شىء . لا شىء بالمرة . سأنصرف اذا كنت تعاملنى هكذا .

پيل : اذهب ، واحضر النقود .

كوستليوف : **(خارجاً)** يا حفيظ ! رجل فظ !

الممثل : كوميدى حقيقية !

ساتين : هذا ما أحبه .

پيل : ماذا كان يفعل هنا ؟

ساتين : **(وهو يضحك)** الا تستطيع أن تخمن ؟ كان يبحث عن زوجته . لماذا لا تنتهى منه يا ڤاسيا ؟

پيل : وأفسد حياتى من أجل خنزير مثله ؟

ساتين : كن لبقاً ، حتى تستطيع أن تتزوج ڤاسيليسا وتجمع منا الايجار .

پيل : ألايكون ذلك لطيفا ؟ عندئذ تستولون على كل أملاكى بما فيها أنا شخصياً قبل أن أتنبه ، نظراً لطيبة قلبى **(يجلس على أحدى المصاطب)** هذا الشيطان العجوز ! لقد أيقظنى . كنت أحلم حلماً رائعاً . كنت أحلم أننى كنت أصيد السمك وأننى صدت قرموطة ضخمة . لم أر قرموطة بهذا الحجم أبداً الا فى الحلم . كانت هناك عند السنارة ، وكنت أخشى أن تفلت ، ولذا أعددت الشبكة وقلت لنفسى سأصيدها الآن . . .

ساتين : لم تكن هذه قرموطة . بل كانت ڤاسيليسا .

الممثل : لقد صاد ڤاسيليسا من زمان .

پيل : **(غاضباً)** اذهبوا كلكم الى جهنم ، وخذوها معكم .

كليش : **(داخلا من الردهة)** البرد شديد .

الممثل : لماذا لم تدخل أنا ؟ ستتجمد هناك .

كليش : أخذتها ناتاشا الى المطبخ .

الممثل : سيطردها العجوز .

كليش : **(يستأنف عمله)** عندئذ تأتى بها ناتاشا .

ساتين : ڤاسيا ، أقرضنى خمسة كوبك .

الممثل : **(الى ساتين)** خمسة كوبك ؟ ڤاسيا ، أقرضنى عشرين كوبك .

پپل : الأفضل أن أسرع باعطائهما النقود قبل أن يطلبا روبلا . خذا .

ساتين : اللصوص أحسن ناس فى الدنيا !

كليش : **(مكتئباً)** يأتيهم المال بسهولة . وهم لا يشتغلون .

ساتين : كثير من الناس يأتيهم المال بسهولة . ولكن قليل من الناس يعطونه بسهولة . شغل ؟ ابحث لى عن عمل يسرنى أن أعمل فيه ، وربما أقبله . ربما ! عندما يكون العمل لذة ، تكون الحياة بهيجة . أما عندما يكون العمل واجباً ، فالحياة تكون استعباداً **(يخاطب الممثل)** هيـا يا « سـاردانابالوس » . فلنذهب .

الممثل : لنذهب يا « بختنصر » . سأسكر طينة .

(يخرجان)

پپل : **(يتثاءب)** كيف حال زوجتك ؟

كليش : تستطيع أن ترى أن حياتها لن تطول .

(صمت)

پپل : بالله عليك لماذا لا تكف عن استخدام هذا المبرد ؟

كليش : وماذا أفعل غير ذلك ؟

پپل : لا شيء .

كليش : وكيف أطعم نفسى ؟

پپل : غيرك يدبرون أمرهم .

كليش : من ؟ هؤلاء هنا ؟ هل تسمى هؤلاء ناساً ؟ صعاليك ! متشردون ! حثالة الأرض ! أنا رجل صنايعى ، وأنا أشعر بالعار لمجرد النظر اليهم . أنا أعمل منذ طفولتى . هل تظن أننى لن أتمكن من ان انجو بنفسى من هذا المكان ؟ سأتمكن من هذا . قد أبرد كل قطعة من جلد جسمى بهذا المبرد ، ولكننى سأزحف حتى أخرج من هنا . انتظر . ستموت زوجتى قريباً . أنا لم أعش هنا الا ستة أشهر ، ولكنها تبدو ست سنين .

پپل : أنت لست أفضل من أى واحد منـا ، فلا داعى لمثل هذا الكلام .

كليش : لست أفضل ! أنت لا شرف لك ، ولا ضمير !

پپل : (بلا مبـالاة) ومنـذا الذى يريدهما : الشرف والضمير ؟ لا تستطيع أن تلبس الشرف والضمير فى قدميك بدلا من الحـذاء . هؤلاء الذين لديهم السلطان والنفوذ ، هم وحدهم الذين يحتاجون الى الشرف والضمير .

بينوف : **(داخلا)** بررررر ! أنا أموت من البرد .

پيل : بينوف ! هل عندك ضمير ؟

بينوف : وما هذا ؟ ضمير ؟

پيل : نعم ، ضمير ؟

بينوف : ولماذا يجب أن يكون عندى ضمير ؟ أنا لست غنياً .

پيل : هـذا ما أقوله . الأغنياء وحدهم هم الذين يحتاجون الى شرف وضمير . ولكن كليش يؤنبنا. هو يقول ان ضميرنا . . .

بينوف : هل يجب أن يستعير ضميرا ؟

پيل : لا ، لا . هو عنده ضمير ممتاز .

بينوف : **(الى كليش)** اذن فهو يعرضه للبيع ؟ لن يجد له زبونا هنا . لو كانت « كوتشينة » قديمة مثلا ، فربما اشتريتها ، ولكن بشرط أن يقبل أن يبيعها لى بالتقسيط .

پيل : **(واعظا)** أنت مغفل يا أندريه ! قبل أن تتحدث عن الضمير انصحك بأن تستمع الى ساتين . . . أو حتى البارون .

كليش : ليس لديهما شىء أتعلمه منهما .

پيل : تفكيرهما أفضل من تفكيرك ، حتى اذا كانا سكرانين .

بينوف : من يحتفظ بعقله وهو سكران ، هو لجائزتين كسبان .

پيل : ساتين يقول ان كل واحد يريد من الآخرين أن يكون لهم ضمير ، ولكن ما من أحد يريد أن يكون لنفسه ضمير . هذا هو الحق .

(تدخل ناتاشا . يتبعها لوكا بعصا فى يده ، وخرج على كتفه ، وابريق وغلاية شاى مربوطة فى حزامه)

لوكا : تحية لكم ، أيها الناس الطيبون !

پيل : **(يداعب شاربه)** آه ، ناتاشا !

بينوف : **(الى لوكا)** كنا طيبين فيما مضى ، قبل العام الذى انقضى !

ناتاشا : هذا ساكن جديد .

لوكا : سيان عندى ، فأنا أحترم النصابين أيضاً . فحتى البرغوث ، له مزاياه . هذا رأيى . فالبراغيث كلها سوداء ، وهى كلها تنط . والآن يا عزيزتى ، أين سأنام ؟

ناتاشا : **(مشيرة الى باب المطبخ)** هناك يا جدى .

لوكا : شكرا يا بنتى . اذا قلت هناك ، فالى هناك أذهب . أى مكان دافىء هو مأوى للعظام الهرمة .

پيل : هذا عجوز أمره عجيب يا ناتاشا .

ناتاشا : هو أفضل منك . أندريه ، زوجتك جالسة فى مطبخنا . تعال وخذها بعد لحظة .

كليش : طيب ، سآتى .

ناتاشا : ارجو انتعاملها معاملة الطف . فانت ترى أن الأمر لن يطول بعد الآن .

كليش : أعرف .

ناتاشا : لا يكفى أن تعرف . لابد ان تفهم . الموت شيء رهيب .

پيل : انا لست خائفاً .

ناتاشا : الست خائفاً الآن ؟ انت شجاع جداً !

بينوف : (**يصفر بفمه**) هذا الخيط تالف .

پيل : صدقينى ، أنا لا أخشى الموت . أنا مستعد لان اموت فى هذه اللحظة . خذى هذه السكين واغرسيها فى قلبى . سأموت دون أن تصدر عنى شهقة واحدة . بل سأكون مسروراً لأن موتى جاء على يد نظيفة .

ناتاشا : (**خارجة**) هل تتوقع منى أن اصدق هذا ؟

بينوف : (**بعويل**) هذا الخيط تالف .

ناتاشا : (**عند باب الطرقة**) لا تنس زوجتك يا أندريه .

كليش : لن أنسى .

پيل : يا لها من فتاة !

بينوف : لا بأس بها .

پيل : لماذا تعاملنى هكذا ؟ دائما تصدنى . ستتحطم اذا بقيت هنا .

بينوف : ستتحطم بسببك .

پيل : ما الذى يجعلك تقول هذا ؟ انا ... انا اشفق عليها .

بينوف : كما يشفق الذئب على الحمل !

پيل : هذا كذب ! من الصعب ان تعيش هنا . استطيع أن ارى هذا .

كليش : انتظر الى ان تضبطك ڤاسيليسا وانت تكلمها .

بينوف : ڤاسيليسا ؟ هى ليست من النوع الذى يتخلى عن شيء مقابل لا شيء . هى سيدة مفترسة .

پيل : (**مضطجعاً على السرير**) اذهبا الى الجحيم : ماذا ؟ تَبيان ؟

كليش : سترى . انتظر .

لوكا : (**يغنى فى المطبخ**) فى حلكة الليل الرهيب ، يختفى الطريق فى الظلام

كليش : (**ينتجه الى الطرقة**) علام ينوح هو الآخر ؟

پيل : حقاً ان الحياة مملة ! عجيب أن ينتابنى هذا الشعور من آن لآخر . ان الانسان يعيش من يوم ليوم دون أن يلاحظ شيئاً ، ثم على حين فجأة يشعر كأنما أصيب ببرد . شيء متعب جداً .

بينوف : متعب ؟ هه !

پيل : جداً

لوكا : (**يغنى**) آه ... ه ! لا طريق على مدى البصر !

پيل : ايه . أنت يا عجوز !

لوكا : **(يطل من الباب)** هل تنادينى ؟

پيل : نعم انت . كف عن الغناء .

لوكا : **(خارجاً من المطبخ)** الا تحب الغناء ؟

پيل : قد أحب الغناء اذا كان جيداً .

لوكا : تريد أن تقول ان غنائى ليس جيداً ؟

پيل : بالضبط .

لوكا : عجيب ! وانا الذى كنت اظن ان صوتى جميل . دائماً هكذا : عندما يؤدى شخص شيئاً يقول لنفسه : يا سلام ، هذا رائع ، ثم يأتى من يقول له هذا ردىء .

پيل : **(ضاحكاً)** هذا صحيح .

ببنوف : منذ دقيقة كنت على وشك أن تموت من الملل ، والآن تضحك ؟

پيل : وماذا يهمك أيها الغراب العجوز ؟

لوكا : ما هذا ؟ من الذى يشعر بالملل ؟

پيل : أنا .

(يدخل البارون)

لوكا : عجيب ! هناك فتاة جالسة فى المطبخ تقرأ فى كتاب وتبكى . تبكى فعلا . والدموع تجرى على خديها . سألتها « لماذا تبكين يا عزيزتى ؟ » فقالت « الرجل المسكين ! » . فسألتها « أى رجل ؟ » . فقالت « هنا فى الكتاب » . ما الذى يجعل الناس تضيع الوقت فى أمور كهذه ؟ لابد أنها تشعر بالملل مثلك .

البارون : هى حمقاء !

پيل : آه ، البارون ! هل تناولت الشاى ؟

البارون : نعم . وماذا بعد ذلك ؟

پيل : هل تريد ان اشترى لك كوب بيرة ؟

البارون : نعم . ثم ماذا ؟

پيل : اذن فاركع على أطرافك الأربعة وانبح كالكلب .

البارون : عنيد ! هل تظن انك تاجر غنى ؟ أم انك سكران ؟

پيل : هيا ، انبح كى تسلينى . انت چنتلمان . وفى يوم من الأيام لم تكن تعتبر الناس أمثالنا كائنات بشرية .

البارون : ثم ماذا ؟

پيل : والآن ، أنا أطلب منك أن تركع على أطرافك الأربعة وأن تنبح كالكلب ، وأنت ستفعل ذلك . هل تسمعنى ؟

البارون : أسمعك يا أحمق ، وسأفعل ما تطلب . ولكننى لا أرى ما هى المتعة التى تعود عليك من هذا ، اذا ما ادركت انا نفسى اننى أصبحت أسوأ منكم أو اكاد . وانت ما كنت تحاول أن تجعلنى أركع على أطرافى الأربعة عندما كنت أعلى منك .

ببنوف : كلام صحيح !

لوكا : كلام مضبوط !

ببنوف : ما فات مات ولم يبق الا ريش الدجاج . لا يوجد

هنا أحد ممن تسميهم « بچنتلمـان » . الدهان كله زال . ليس هنا الا ناس عرايا .

لوكا : وبعبارة أخرى ، كلنا متساوون . ولكن هل كنت حقيقة باروناً أيها الرجل الطيب ؟

البارون : من هذا ؟ من أنت أيها العفريت ؟

لوكا : (**ضاحكاً**) أنا رأيت الكونت ، ورأيت الأمير ، ولكننى لم أر أبداً باروناً ، وخاصة اذا كان هذا البارون جربان .

پيل : (**ضاحكا**) بارون ! انك تجعلنى أحمرُ من الخجل !

البارون : حان الوقت لكى تتعقل يا ڤاسيا .

لوكا : لا ، لا ، لا . هذه الحياة التى تحيونها ! من اغرب ما يكون !

بينوف : نحن نصحو على الآهات ، وننام على الأنات . هكذا نعيش !

البارون : كنا نعيش أحسن من ذلك فى يوم من الأيام . انا أتذكر عندما كنت أصحو فى الصباح فتأتينى الخادم بالقهوة فى السرير . قهوة باللبن .

لوكا : نحن بشر . كلنا . مهما يكن مظهرنا ، مهما نتظاهر أو نخادع ، ولدنا بشراً ، وسنموت بشراً . الناس يزدادون حكمة ، على ما يبدو لى ، ويزداد أمرهم بعثاً على الاهتمام بشأنهم . كلما ساءت حياتهم ، ازدادوا رغبة فى تحسين حياتهم . جنس عنيد ، هؤلاء البشر !

البارون : من انت أيها العجوز ؟ من أين جئت ؟

لوكا : أنا ؟

البارون : هل أنت حاج ؟

لوكا : كلنا حجاج على هذه الأرض . وقد سمعت قائلا يقول ان أرضنا هذه هى نفسها حاجّة فى السماوات .

البارون : (**بشدة**) دع الأرض وشأنها . ولكن أنت ؟ هل معك جواز مرور ؟

لوكا : (**بعد برهة صمت**) ومن تكون أنت ؟ بوليس سرى ؟

پيل : (**مرحاً**) أحسنت أيها العجوز ! لقد نال منك هذه المرة يا بارون !

بينوف : نعم ، وضع الچنتلمان العظيم فى مكانه .

البارون : (**مرتبكاً**) وماذا فى ذلك ؟ كنت أمزح أيها العجوز . أنا نفسى ليس معى أوراق من هذه .

بينوف : كذاب !

البارون : أريد أن أقول ان معى بعض أوراق ، ولكن لا فائدة لها .

لوكا : هذه الأوراق كلها متشابهة . لا فائدة لها .

پيل : فلنذهب لنتناول كأساً يا بارون .

البارون : لا مانع عندى . الى اللقاء أيها العجوز . انت وغد !

لوكا : لا يتم العالم الا اذا كان فيه ناس من كل نوع .

پيل : (**عند باب الردهة**) تعال ان كنت ستأتى (**يخرج . يهرول البارون خلفه**)

لوكا : هل كان حقيقة بارونا ؟

بينوف : من يدرى ؟ ولكن من المؤكد أنه ينتمى الى طبقة السادة . وحتى الآن نراه على حين فجأة يفعل شيئاً يثبت أنه ينتمى الى هذه الطبقة . يبدو انه لم ينس هذه العادات بعد .

لوكا : ان الانتماء الى طبقة السادة أشبه بالاصابة بالجدرى ، قد يبرأ منه المصاب ، ولكن آثاره تبقى.

بينوف : هو شخص لا بأس به على وجه العموم . كل مافى الأمر أنه يقف على رجليه الخلفيتين من آن لآخر . كما فعل عندما سألك عن جواز المرور .

اليوشكا : **(يدخل وهو مخمور بعض الشيء ، يصفر ويعزف على الأكورديون)** هيه يا سكان !

بينوف : ما هذا الصياح ؟

اليوشكا : سامحونى ! اعذرونى ! أنا رجل مؤدب جداً بطبيعتى .

بينوف : عدت للعراك ؟

اليوشكا : طردنى الشرطى « مدياكين » من مركز الشرطة وقال لى « اياك أن أرى وجهك فى الشارع مرة اخرى ! » ، ولكن أنا شخص عنده اخلاق . اذا كان رئيسى يشخط فى ، فمن هو الرئيس ؟ مجرد سوء تفاهم . سكران . رئيسى سكران . وأنا شخص لا أبالى بأى شىء . أنا لا اريد شيئاً .

خذونى بنصف روبل . أنا لا أريد شيئاً **(تدخل ناستيا من المطبخ)** أعطونى مليون روبل ... لن آخذها . هل تظنون أننى أسمح لأى شخص ، خصوصا اذا كان سكران ، أن يقول لى ماذا أفعل. أبداً .

(تقف ناستيا بالباب تراقب اليوشكا وتهز رأسها)

لوكا : **(بعطف)** ما هذه اللخبطة التى أوقعت نفسك فيها أيها الشاب ؟

بينوف : مهفوف! نعم مهفوف !

اليوشكا : **(يلقى بنفسه على الأرض)** كلونى ! لا أريد منكم شيئاً . أنا رجل بائس . حاولوا أن تثبتوا لى أن فيكم من هو أحسن منى . لماذا أكون فى نظركم أسوأ من الباقين ؟ هذا الـ « مدياكين » يقول لى « سأحطم رأسك اذا ضبطتك فى الشارع » . ولكننى سأخرج الى الشارع . سأخرج الى الشارع، وأنام فى عرض الطريق .. هيا ... دوسوا فوقى . لا أريد منكم شيئاً .

ناستيا : مسكين! منحرف ومعقد وهو فى عز شبابه !

اليوشكا : **(يلمحها فينهض على ركبتيه)** مدموازيل ، Parlez francais !. merci ! Bouillon !. كنت فى معركة .

ناستيا : **(فى همس مسموع)** فاسيليسا !

ڤاسيليسا : **(تفتح الباب بسرعة وتخاطب اليوشكا)** عدت الى هنـا !

اليوشكا : كيف حالك ؟ هل تتفضلين ف . . .

ڤاسيليسا : انا حذرتك من أن أرى وجهك هنـا مرة أخرى يا كلب . وهذا أنت الآن !

اليوشكا : يا ڤاسيليسا كاربوڤنا. سأعزف لك لحناً جنائزياً . ما رأيك ؟

ڤاسيليسا : **(تجره من كتفه)** أخرج !

اليوشكا : **(متجهـاً نحو البـاب)** انتظرى لحظـة ! اللحن الجنائزى ! لقد تعلمته الآن . لحن جديد تماماً . انتظرى لحظة . لا يمكن أن تفعلى ذلك .

ڤاسيليسا : سأريك ان كان فى امكانى أن أفعـل ذلك أم لا . سأثير الشارع كله ضدك أيها الوثنى . أنت أصغر من أن تجوب الشوارع تشهر بى !

اليوشكا : **(وهو يعدو)** سأخرج .

ڤاسيليسا : **(الى ببنوف)** لا أريد أن أراه هنا مرة أخرى ، هل تسمع ؟

ببنوف : أنا لست كلب حراسة .

ڤاسيليسا : لا يهمنى ماذا تسمى نفسك . ولا تنس أنك تعيش على الاحسان . بكم أنت مدين لى ؟

ببنوف : **(دون أن ينزعج)** لم أحسب .

ڤاسيليسا : ساحسب لك .

اليوشكا : **(يفتح الباب ويصيح)** ڤاسيليسا كاربوڤنا ! لايمكن أن تخيفينى ! لا يمكن أن تخيفيند . . . ى **(يختفى)**

(لوكا يضحك)

ڤاسيليسا : ومن تكون أنت ؟

لوكا : متجول . حاج .

ڤاسيليسا : هنا ليلة أم اقامة ؟

لوكا : سأرى المكان أولا .

ڤاسيليسا : جواز المرور ؟

لوكا : اذا أردت . . . .

ڤاسيليسا : أعطنيه .

لوكا : سأسلمه . . . أ . . . . لك فى غرفتك بنفسى .

ڤاسيليسا : حاج ؟ لماذا لا تقول صعلوك ؟

لوكا : **(يتنهد)** أنت لست طيبة القلب .

(تتجه ڤاسيليسا نحو باب غرفة پپل . يطل اليوشكا برأسه من باب المطبخ ويهمس : «هل ذهبت ؟»)

ڤاسيليسا : **(تتجه نحوه)** أنت ما زلت هنا ؟

(يصفر اليوشكا بصوت حاد ويختفى . ناستيا ولوكا يضحكان)

ببنوف : **(الى ڤاسيليسا)** ليس هنا .

ڤاسيليسا : من ؟
بينوف : ڤاسيا .
ڤاسيليسا : هل سألتك أين هو ؟
بينوف : أراك تحومين فى الغرفة .
ڤاسيليسا : أريد أن أتأكد أن كل شىء على ما يرام . **فهمت ؟** لماذا لم تكنسوا الأرض ؟ كم مرة أمرتكم أن تجعلوا هذا المكان نظيفاً دائماً ؟
بينوف : دور الكنس اليوم على الممثل .
ڤاسيليسا : لا يهمنى دور من هو . اذا جاء مفتش الصحة وعاقبنى بغرامة سأطردكم كلكم .
بينوف : **(بهدوء)** وعلام تعيشين اذن ؟
ڤاسيليسا : لا أريد أن أرى بقعة واحدة على الأرض **(متجهة ناحية المطبخ وهى تتحدث الى ناستيا)** لماذا أنت حزينة هكذا وبوزك منفوخ ؟ واقفة كالصنم ! اكنسى الأرض ! هل رأيت ناتاشا ؟ هل جاءت هنا ؟
ناستيا : لا أعرف . لم أرها .
ڤاسيليسا : بينوف ! هل جاءت أختى هنا ؟
بينوف : **(مشيراً الى لوكا)** جاءت به .
ڤاسيليسا : وهذا الرجل .... **هل كان هنا ؟**
بينوف : ڤاسيا ؟ كان هنا . ولكن ناتاشا لم تتحدث مع أحد الا كليش .
ڤاسيليسا : لم أسألك مع من كانت تتحدث . قذارة فى كل مكان ! وساخة ! مجموعة حلاليف ! نظفوا هذا المكان . هل سمعتم ؟

(تخرج بسرعة)

بينوف : هل رأيتم أبداً امرأة بهذه الدناءة ؟
لوكا : امرأة لا يمكن استغفالها !
ناستيا : أى واحد يعيش عيشتها لابد أن يكون دنيئاً . اذا ارتبطت أى امرأة بزوج كزوجها ...
بينوف : ليست مرتبطة به ارتباطاً وثيقاً .
لوكا : هل تنفجر دائماً هكذا ؟
بينوف : دائماً . جاءت لترى عشيقها فلم تجده .
لوكا : هذا يغيظ بالطبع **(يتنهد)** آه ، آه ، آه ! ما أكثر الناس الذين يحاولون تصريف شئون أرضنا هذه ، وكلهم يوجهون تهديدات مخيفة ! ومع ذلك ، لا نظام ولا نظافة !
بينوف : يريدون النظام ولكن ليس لديهم عقل لتحقيقه . على كل حال لا بد من كنس الأرض . ناستيا ! لماذا لا تكنسينها ؟
ناستيا : لماذا فى رأيك ؟ هل أنا خادمة غرفتك ؟ **(بعد لحظة صمت)** سأسكر اليوم .... سأسكر طينة .
بينوف : هذا نوع من العمل على الأقل .
لوكا : لماذا تريدين أن تسكرى يا بنتى ؟ منذ لحظة قصيرة كنت تبكين ، والآن تقولين انك تريدين أن تسكرى .
ناستيا : **(متحدية)** سأسكر وأبدأ فى البكاء من جديد . هذا كل ما فى الأمر .

بينوف : ليس هذا بالكثير .

لوكا : ولكن ما السبب ؟ حتى الدمل له سبب .

(تهز ناستيا رأسها فى صمت)

لوكا : آه ، آه ، آه . هؤلاء الناس ! ماذا سيكون مصيركم ؟ سأكنس الأرض لكم . أين المكنسة ؟

بينوف : خلف الباب فى الطرقة .

(يخرج لوكا الى الردهة)

بينوف : ناستيا !

ناستيا : ماذا ؟

بينوف : لماذا ثارت ڤاسيليسا على اليوشكا بهذا الشكل ؟

ناستيا : راح يقول لكل واحد ان ڤاسيا سئمها وانه سيتخلى عنها من أجل ناتاشا . خير لى أن اترك هذا المكان .. انتقل الى مكان آخر .

بينوف : ماذا تقولين ؟ الى أين ؟

ناستيا : سئمت كل هذا . لا مكان لى هنا .

بينوف : (ملاطفاً) ولا فى أى مكان آخر . لا مكان لأى واحد على هذه الأرض .

(تهز ناستيا رأسها ، ثم تنهض وتخرج فى هدوء الى الردهة . يدخل ميدڤيديف يتبعه لوكا ومعه المكنسة)

ميدڤيديف : لا اظن أننى أعرفك .

لوكا : وهل تعرف الآخرين جميعا ؟

ميدڤيديف : المفروض أننى أعرف كل الناس فى منطقتى . ولكننى لا أعرفك .

لوكا : ليست الأرض كلها داخلة فى منطقتك . هذا هو السبب يا عم . هناك جزء صغير يقع خارج هذه المنطقة .

(يخرج الى المطبخ)

ميدڤيديف : **(يتجه الى بينوف)** قد لا تكون منطقتى كبيرة ، ولكنها العن من منطقة كبيرة . منذ لحظة اضطررت الى أخذ اليوشكا الاسكافى الى مركز الشرطة . فماذا تظنون السبب ؟ لقد نام فى وسط الشارع وراح يعزف على الاكورديون ويصيح « لا أريد منكم شيئاً » . وبالطبع كانت تسير فى الشارع خيول وعربات وغيرها . كان محتملا أن تدوسه احداها . هو شاب مشاغب . ولكننى أدبته . يظهر أنه يحب الشغب .

بينوف : هل تلعب عشرة طاولة الليلة ؟

ميدڤيديف : لا مانع ..... وما أخبار هذا الـ « ڤاسيا » ؟

بينوف : لا جديد . كالمعتاد .

ميدڤيديف : أو بعبارة أخرى حى يرزق ؟

بينوف : ولماذا لا ؟ ما من سبب يحول دون أن يكون حيا يرزق ؟

ميدڤيديف : **(فى ارتياب)** هل تظن ذلك ؟ **(يخرج لوكا الى الردهة يحمل دلواً)** الناس تتهامس بكلام عن ڤاسيا . هل سمعته ؟

بينوف : أنا أسمع كلاماً كثيراً .

ميدڤيديف : عنه هو وڤاسيليسا . يظهر...أ... ألم تلاحظ شيئاً ؟

بينوف : ماذا ... مثلا ؟

ميدڤيديف : أى شيء . لعلك تعرف ولا تريد أن تخبرنى . كل واحد يعرف **(بشدة)** لا تكذب !

بينوف : ولماذا أكذب ؟

ميدڤيديف : اذن فاسمعوا أيتها الكلاب القـذرة ! يقولون ان ڤاسيا وڤاسيليسا ... أنتم تعرفون . ولكن ماذا يهمنى ؟ أنا لست أباها .... ما أنا الا خالها . فلماذا يسخر الناس منى ؟ **(تدخل كڤاشنيا)** ماذا دها الناس أخيراً ؟ يسخرون من كل واحد . آه ... أنت . عدت بسرعة . هه ؟

كڤاشنيا : الشرطة العظيمة المحترمة المبجلة ! عاد يلاحقنى ويضايقنى فى السوق يا بينوف . لا يرضيه الا أن أتزوجه .

بينوف : تزوجيـه . لم لا ؟ معـه مال ، ولم يبلغ سـن الشيخوخة بعد .

ميدڤيديف : أنا ؟ ههو !

كڤاشنيا : أنت أيهـا الذئب العجوز ! لا تتحدث عن نقطتى الحساسة . لقد جربته من قبل ... الزواج ! هو كالقفـز فى حفرة فى الجليـد . اذا جـربته فلن تنساه .

ميدڤيديف : أوه ... الأزواج يختلفون .

كڤاشنيا : أما أنا فلا أتغير . بمجرد ما مات نصفى العزيز الأفضل ، ألا فليستقر فى جهنم ، خلوت الى نفسى يوماً بطـوله وأنا فى نعيم ، أحاول أن أقنع نفسى بتصديق حسن حظى .

ميدڤيديف : اذا كان زوجك قد ضربك بدون سبب وجيه ، كان يجب أن ترفعى أمره الى الشرطة .

كڤاشنيا : رفعت أمره الى الله ثمانى سنوات ، فلم يساعدنى.

ميدڤيديف : القانون يحرم ضرب الزوجة . والقوانين صارمة فى هذه الأيام . القانون والنظام ! يجب ألا يكون الضرب الا لسبب وجيه ... للمحافظة على النظام فحسب .

لوكا : **(داخلا يجر أنا)** هل رأيت ؟ ... وصلنا . كيف تستطيعين بجسمك هذا أن تمشى وحدك ... ورجلاك ترتجفان ؟ أين مكانك هنا ؟

أنا : **(تدله على مكانها)** أشكرك يا جدى .

كڤاشنيا : اليكم امرأة متزوجة . أنظروا اليها .

لوكا : ان جسمها كله يرتجف . المسكينة ! سمعتها وهى تئن ، ووجدتها متشبثة بالحائط ، تجاهـد لكى تشق طريقها فى الطرقة . يجب ألا تجعلوها تمشى هكذا وحدها .

كڤاشنيا : سامحنا واغفر لنا هذا الاهمال ياسيدى الطيب ، يظهر أن خادمة غرفتها فى أجازة اليوم .

لوكا : استمعوا اليها . تقلب الحكاية نكتة . لا يمكن أن تفعلوا ذلك بانسان . كل انسان له وزن وقيمة ، مهما تكن هذه القيمة ضئيلة .

ميدڤيديف : يجب أن تراعوها . ماذا اذا ماتت فجأة ؟ سيكون ذلك مصدر مضايقة كبيرة . لا تجعلوها تغيب عن أعينكم .

لوكا : كلام فى محله يا شاويش .

ميدڤيديف : اسمع . أنا لم أصبح شاويشاً بعد ، ولكن ....

لوكا : ما هذا ؟ ان مظهرك يدل ....

(ضجة واضطراب فى الردهة .
تسمع صيحات مختنقة)

ميدڤيديف : مشاجرة ؟

بينوف : يبدو هذا .

كڤاشنيا : سأذهب لأرى .

ميدڤيديف : لابد أن أذهب أنا أيضاً . أوه ... الواجب ! لست أدرى لماذا يجب أن نخلص من يتشاجرون بعضهم عن بعض . سيكفون عن القتال من تلقاء أنفسهم عندما يشعرون بالتعب . الأفضل أن نتركهم يصفع بعضهم بعضاً كما يحلو لهم . سيظل ذلك أمراً يتذكرونه ولن يتلهفوا على القتال مرة أخرى .

بينوف : **(ينزل من على مصطبته)** تحدث الى رئيسك عن هذا .

كوستليوف : **(يصفق الباب فيفتحه ويصيح)** ابرام ! تعال بسرعة ! ناتاشا فى قبضة ڤاسيليسا . ستقتلها . أسرع .

(كڤاشنيا وميدڤيديف وبنوف
يندفعون الى الردهة . يهز
لوكا رأسه ويحملق وراءهم)

أنا : آه يارب ! مسكينة يا ناتاشا !

لوكا : من الذين يتقاتلون ؟

أنا : صاحبتا الملك . شقيقتان .

لوكا : **(ذاهباً الى أنا)** وعلام يتقاتلان ؟

أنا : لا شيء على وجه الخصوص . كل ما فى الأمر ان نشاطهما زائد عن الحد .

لوكا : ما اسمك ؟

أنا : أنا . أنا أطيل النظر اليك ... انت تذكرنى بأبى ... حنون وطيب .

لوكا : قاسيتُ كثيراً فى هذه الدنيا . وذلك ما يجعلنى حنوناً هكذا **(تصدر عنه ضحكة متقطعة)** .

ستار

الفصل الثاني

(المنظر السابق . فى المساء . ساتين ، وكريفوى زوب ، والبارون ، والتترى يلعبون الورق بالقرب من الفرن . بينما كليش والممثل يتفرجان . بينوف وميدفيديف يلعبان الشطرنج جالسين فوق مصطبة بينوف . لوكا جالس الى جوار أنا . يضىء النزل مصباحان . أحدهما معلق على الحائط بالقرب ممن يلعبون الورق . والثانى فوق مصطبة بينوف) .

التترى : سألعب دوراً آخر . سيكون آخر دور .

بينوف : زوب ! غن لنا أغنية !

(يغنى)

كل يوم الشمس تظهر . . .

زوب : **(يغنى معه)** .

وزنزانتى كئيبة وسودة . . .

التترى : **(يخاطب ساتين)** فنط الورق . فنطه جيداً . فنحن نعرف طريقتك فى اللعب .

بينوف : } **معاً** { ليل ونهار الحارس يزغر
زوب : آ . . . ه
يراقب الزنزانة السودة .

أنا : مشاجرات ... اهانات ... لا شىء غير ذلك . هذا هو كل ما رأيته .... كل ما عرفته .

لوكا : يا عزيزتى المسكينة ! لا تجزعى !

ميدفيديف : ايه ! لماذا هذه النقلة ؟ حاسب !

بينوف : آه . . .

التترى : **(يهز قبضة يده فى وجه ساتين)** لماذا تخفى هذه الكروت ؟ هه ؟ أنت يا ملعون . . .

زوب : لا داعى للغضب يا حسن . فهمـا سيغشان فى اللعب على أى حال . غن يا بينوف . غن .

أنا : لم آكل أبداً الى حد الشبع .... كنت دائماً أعد كل كسرة خبز آكلها ... كنت دائماً أرتعد من الخوف خشية أن آكل أكثر مما يأكل الشخص الآخر ... لم البس أبداً الا الخرق البالية . لماذا ؟

لوكا : يا مسكينة ! هل أنت متعبة ؟ سيكون كل شىء على ما يرام .

الممثل : **(مخاطباً زوب)** ارم الولد ... الولد يا خايب !

البارون : ونحن معنا الشايب .

كليش : دائماً ورقهم أحسن من ورقكم !

ساتين : هذه عادة تعودنا عليها .

ميدفيديف : ملك !

بينوف : وأنا أيضاً . فما رأيك ؟

أنا : وهأنذى الآن أموت . . .

كليش : هل رأيت ؟ هل رأيت ؟ اخرج من اللعب ياحسن . أخرج من اللعب قلت لك .

الممثل : ألا يستطيع هو أن يفكر لنفسه ؟

البارون : حاسب يا أندريه ، والا قذفت بك الى جهنم !

التترى : هيا . فرق من جديد . تيجى تصيده يصيدك . هذه هى حالى .

(يهز كليش قبضته ويتجه الى بينوف)

أنا : أسائل نفسى دائماً : يا رب ، هل يستمر هـذا العذاب فى الآخرة أيضاً ؟ هناك أيضاً ؟

لوكا : لا . لا . لن تتعذبى هناك يا عزيزتى . نامى فى سلام . سيكون كل شىء على ما يرام . ستستريحين هناك كل الراحة . عليك بمزيد من الصبر ... علينا جميعاً بالصبر ... كل على طريقته .

(ينهض ويسير نحو المطبخ فى خطوات قصيرة سريعة)

(يغنيان) .

بينوف وزوب معاً : راقب زنزانتى راقب ...
: انا مش حاهرب أبداً ...
: انا عاوز نسيم الحرية ...
آ ... ه ...
لكن السلاسل تقيلة عليه ...

التترى : (صائحاً) آها ! تخبىء الكرت فى كمك !

البارون : (فى شىء من الارتباك) وأين تنتظر منى ان اضعه ؟ فى انفك ؟

الممثل : (محاولا اقناعه) انت غلطان يا حسن. لم يحاول أبداً أن ...

التترى : آه ، فهمت . غش . لن ألعب !

ساتين : (يلم الورق) طيب ، اخرج يا حسن . كنت تعلم اننا نغش . فلماذا لعبت معنا ؟

البارون : خسر عشرين كوپك ويصرخ كما لو كانت ثلاثة روبلات ! ويسمى نفسه تترياً !

التترى : (غاضباً) لا بد أن يكون اللعب سليماً .

ساتين : لماذا ؟

التترى : ماذا تعنى لماذا ؟

ساتين : أعنى ما قلته ... لماذا ؟

التترى : أنت لا تعرف ؟

ساتين : لا ... لا أعرف . هل تعرف انت ؟

(يبصق التترى غاضباً فضحك منه الآخرون)

زوب : (دون ان ينزعج) انت مجنون ياحسن . الا تستطيع ان ترى انهما اذا حاولا أن يلعبا بشرف ، ماتا جوعاً فى ثلاثة أيام ؟

التترى : لا يهمنى هذا . لا بد أن يعيشوا بشرف .

زوب : سنتركك لأوهامك . هيا يا بينوف . لنذهب لنشرب الشاى .

بينوف : (يغنى) آه ... من سلاسل الحديد ...
وآه .... من حارس السلاسل ...

زوب : هيا يا حسن .

(يخرج وهو يغنى)

سلاسل حديد لا تنكسر ولا تنفك .

(يهز التترى قبضته فى وجه البارون ثم يخرج فى اثر زميله)

ساتين : (يخاطب البارون ضاحكاً) مرة اخرى يا صاحب الشرف الشريف ينكشف أمرك . چنتلمان مثقف مثلك ، لا يعرف كيف يخفى الكرت فى كمه ؟

البارون : (يهز كتفيه) لا أدرى كيف حدث ذلك !

الممثل : تنقصك الموهبة . انت لاتثق بنفسك . بدون هذه الثقة ... لا شىء . فشل .

ميدڤيديف : معى حصان ، ومعك اثنان .

ببنوف : ومع ذلك تستطيع أن تكسب ان كنت بارعاً . الدور عليك .

كليش : أنت خسرت بالفعل يا أبرام اڤانتش !

ميدڤيديف : لا تتدخل فى هذا ! سامع ؟ اخرس !

ساتين : المكسب .... ٥٣ كوبك .

الممثل : لى فيها ثلاثة . وماذا أفعل بثلاثة كوبك ؟

لوكا : **(آتيـاً من المطبخ)** الآن وقد جردتم التترى من نقوده ، ستذهبون الى الشرب على ما أظن ؟

البارون : تعال معنا .

ساتين : أحب أن أرى ما تكون عليه حالك وأنت سكران ؟

لوكا : لن أكون خيراً منى وأنا فى وعيى .

الممثل : تعال معنا أيها العجوز . سأسمعك بعض القصائد .

لوكا : وما هذا ؟

الممثل : شعر .

لوكا : شعر ؟ وما حاجتى الى الشعر ؟

الممثل : يمكن أن يكون ممتعاً . ويمكن أن يكون حزيناً .

ساتين : هل أنت آت أيها الشاعر ؟

(يخرج مع البارون)

الممثل : أنا آت . سألحق بك . استمع الى هذا أيها العجوز . هذه أبيات من قصيدة . أوه ... لا أستطيع أن اتذكر البداية . لا أستطيع ان اتذكر **(يدلك جبهته)** .

ببنوف : طار حصانك ! العب .

ميدڤيديف : ما كان يجب ان انقل هذا الحصان ! فى داهية !

الممثل : فيما مضى ، قبل أن يتسمم بدنى بالكحول كانت لى ذاكرة جيدة أيها العجوز . اما الآن ... فقد انتهى كل شيء بالنسبة لى . كنت دائماً أرج المسرح بهذه الأبيات . وكان التصفيق يدوى كالرعد . وانت لاتعرف معنى التصفيق ياصديقى التصفيق كالڤودكا . وكنت اخرج للجمهور واقف هكذا **(يمثل)** كنت اقف هكذا ... ثم ... **(يصمت)** لا استطيع ان اتذكر ولا كلمة ... ولا كلمة . وتلك كانت قصيدتى المفضلة . هذه مسألة محزنة ، أليس كذلك يا عجوز ؟

لوكا : هى محزنة فعلا ما دامت كانت قصيدتك المفضلة . انت تسكب روحك فى الشيء الذى تفضله .

الممثل : انا سكبت الخمر فى روحى يا عجوز . انا هالك . ولماذا ؟ لاننى لم اكن اثق بنفسى . انا انتهيت .

لوكا : هذا لا شيء . كل ما عليك ان تفعله هو أن تعالج نفسك . انهم يشفون الناس من الادمان الآن ، الم تسمع بذلك ؟ يشفونهم بدون مقابل . لقد فتحوا مركزاً للعلاج حيث يعالجونهم مجاناً .

لأنهم يرون أن المدمن بشر ، ويسرهم أن يروه يريد الشفاء . اذهب هناك اذن . اذهب وجرب .

الممثل : (**فى تفكير**) أين ؟ أين هذا المكان ؟

لوكا : فى مدينة ... مدينة لا أذكر اسمها . اسمها غريب . انتظر .... على أى حال ، سأتذكر الاسم . وفى نفس الوقت استعد . تخل عن الفودكا . سيطر على نفسك وتجلد . وعندئذ ستذهب للعلاج وتبدأ الحياة من جديد . ألن يكون ذلك رائعاً ؟ من جديد ! صمم وانو . مرة واحدة . بلا رجعة .

الممثل : (**مبتسماً**) من جديد ! أبدأ من جديد ! نعم . هذا يبدو رائعاً . من جديد ! (**يضحك**) طبعاً ! أستطيع أن أفعل ذلك . الا تظن أننى أستطيع أن أفعل ذلك ؟

لوكا : بالطبع تستطيع . يستطيع الرجل أن يفعل أى شىء ، اذا كان لابد من فعله .

الممثل : (**كما لو كان يستيقظ فجأة**) أنت مهفوف بعض الشىء ، أليس كذلك يا عجوز ؟ الى اللقاء الآن (**يصفر**) الى اللقاء يا عجوز (**يخرج**) .

أنا : يا جدى .

لوكا : ماذا يا عزيزتى ؟

أنا : كلمنى .

لوكا : (**يذهب اليها**) طيب . سيكون بيننا حديث لطيف .

(**يرقبهما كليش ثم يذهب الى زوجته فى صمت . ينظر اليها ويأتى بعض الحركات بيديه كما لو كان يريد أن يقول شيئاً**) .

لوكا : ماذا بك يا أخ ؟

كليش : (**لا يكاد يبين**) لا شىء .

(**يتجه بطيئاً نحو باب الردهة حيث يقف أمامه متردداً بضع ثوان ، ثم يخرج بغتة**) .

لوكا : (**يتبعه بعينيه**) موقف صعب بالنسبة لزوجك هذا .

أنا : لا أستطيع أن أفكر فيه الآن .

لوكا : هل كان يضربك كثيراً ؟

أنا : بمنتهى القسوة . بسببه صرت الى هذه الحال .

بينوف : كان لزوجتى عشيق . الوغد ! كان يجيد لعب الشطرنج .

ميدفيديف : ممم ...

أنا : جدى ... أرجوك .... كلمنى ... أنا فى حال سيئة جداً ....

لوكا : هذا لا شىء . فهو شعور طبيعى قبل الموت يابنتى . سيكون كل شىء على مايرام ياعزيزتى .

لا تفقدى الأمل . اسمعى .... ستموتين الآن ... هـه ... ويكون كل شيء هادئاً آمناً . لن تجدى ما تخشينه بعد الآن ، لا شيء تخافينه بالمرة . فنامى الآن فى هدوء وسلام . فالموت رحيم بنا نحن الفانين . الموت يمحو كل الغضون . نعم . ولذلك يقولون عنه انه راحة أبدية . وهذه هى الحقيقة يا عزيزتى ، فأين يتسنى لانسان أن يجد راحة فى هذه الدنيا ؟

(يدخل پيل . كان يشرب . يبدو أشعث الشعر ، مكتئباً . يرتمى على احدى المصاطب بجوار الباب حيث يجلس ساكتاً بلا حراك)

انا : ولكن فى هذا العالم الآخر ... هل نتعذب أيضاً ؟

لوكا : لن يكون هناك شيء من ذلك . لا شيء أبداً . ما عليك الا أن تصدقينى . هدوء وسلام ولا شيء غير ذلك . سيستدعونك أمام الرب ويقولون له : هذه خادمتك المطيعة المؤمنة جاءت اليك .

ميدڤيديف : **(بشدة)** وكيف تعرف ما سيقولونه هناك ؟ أمرك عجيب !

(عند سماع صوت ميدڤيديف ، يرفع پيل رأسه ويصغى)

لوكا : ما دمت اقول شيئاً فلا بد اننى أعرفه يا شاويش ...

ميدڤيديف : **(هادئاً)** ممم ... ربما . اظن هذا يدخل فى نطاق معرفتك . ولكننى قلت لك انا لست شاويش . لم أصبح شاويش بعد .

بينوف : هذا هو الوثب العالى .

ميدڤيديف : يا ابليس ! أرجو أن ...

لوكا : وسيشملك الله بعطفه ورحمته ويقول : بالطبع انا اعرف أنا . وسيقول : خذوا أنّا الى الجنة . نعم هذا ما سيقوله . دعوها تأخذ نصيبها من الراحة فأنا أعرف ما لقيته فى حياتها من شقاء . أنا أعرف مقدار تعبها . فليكن لها الآن الأمن والسلام .

أنا : **(تشهق)** أوه ، جدى .. يا جدى العزيز ... لو كان الأمر كذلك حقاً ! لو كان هناك ... أمن ... وسلام ... فلا أشعر بشيء من ...

لوكا : لن تشعرى بشيء يا عزيزتى . لا شيء بالمرة . صدقينى . يجب أن تموتى الآن وانت سعيدة دون أن تخشى شيئاً . فالموت كما قلت لك ياابنتى أب رحيم بنا نحن أبناءه .

أنا : ولكن ... ربما ... ربما أستعيد صحتى ؟

لوكا : **(يبتسم مستعيذاً)** لماذا يا عزيزتى ؟ لتتعذبى من جديد ؟

أنا : **لأعيش ... ولو قليلا ... ولو أطول قليلا ...** ما دمت تقول انه لا يوجد هناك عذاب ... فأنا أستطيع أن أتحمل الحياة هنا ... أستطيع .

لوكا : لن يكون هناك شيء أبداً . كل ما ...

بيل : (**ينهض**) أنت على حق . ولكن ربما ... تكون مخطئاً .

أنا : (**فزعة**) يا حفيظ ! يا حفيظ !

لوكا : ماذا تقول أيها الرجل النبيه ؟

ميدفيديف : من الذى يصيح ؟

بيل : (**يتجه اليه**) أنا . فماذا تريد ؟

ميدفيديف : يجب ألا تصيح . هذا هو ما أريد . يجب أن يتصرف الانسان فى هدوء

بيل : جعجاع ! وأنت خالهما ! هوه ... هوه !

لوكا : (**يخاطب بيل لاهثاً**) كف عن الصياح . هل تسمعنى ؟ هذه المرأة تموت . لقد اصفر لون شفتيها فعلا . دعها فى حالها .

بيل : احتراماً لك يا جدى ! أنت رجل شاطر يا جدى . تكذب ببراعة . ومن الجميل الاستماع الى حكاياتك الخرافية . هيا ... استمر فى الكذب . لا بأس . فما أقل الأشياء السارة التى نسمعها فى هذه الدنيا .

بينوف : هل صحيح أنها تموت ؟

لوكا : اظن هذا .

بينوف : هذا يضع حداً لسعالها . سعال فظيع . الوثب العالى !

ميدفيديف : أوه ! فليأخذك الشيطان !

بيل : ابرام !

ميدفيديف : من أذن لك أن تنادينى باسمى الأول ؟

بيل : ابرام . هل ناتاشا مريضة ؟

ميدفيديف : وما دخلك فى هذا ؟

بيل : من الخير أن تخبرنى . هل ضربتها فاسيليسا ضرباً شديداً ؟

ميدفيديف : لا شأن لك فى هذا . هذه مسألة عائلية . من أنت حتى تتدخل فى ذلك ؟

بيل : بغض النظر عمن اكون ، أستطيع أن أجعل نظرك لا يقع على ناتاشا أبداً اذا شئت أنا هذا .

ميدفيديف : (**يترك الشطرنج**) ماذا ؟ ماذا تقول؟ الى من تتكلم؟ ناتاشا بنت أختى . يا لص !

بيل : قد أكون لصاً . ولكنك لم تضبطنى .

ميدفيديف : انتظر . سأضبطك . سريعاً .

بيل : اذا ضبطتنى ، جاءت نهاية عشك الصغير هذا . هل تظن أننى لن أفتح فمى فى المحكمة ؟ سيكشف الذئب عن مخالبه . سيسألوننى : من الذى علمك كيف تسرق ودلك على الأماكن التى تسرقها ؟

مشكا كوستليوف وزوجته . من الذى كان يتلقى مسروقاتك ، مشكا كوستليوف وزوجته .

ميدفيديف : أنت كذاب ! لن يصدقك أحد !

پپل : بل سيصدقوننى لأن هذه هى الحقيقة . وسأجر رجلك أنت أيضاً ... هه ! سأقضى عليكم جميعاً يا أولاد الزنا ! سترى !

ميدفيديف : **(مرتعباً)** كذاب ! أنت كذاب ! هل أسأت اليك أنا أبداً ؟ تهاجمنى كالكلب المسعور !

پپل : وهل أحسنت أنت الىَّ أبداً ؟

لوكا : مممـــ ...

ميدفيديف : **(الى لوكا)** علام تزوم ؟ ما دخلك فى هذا ؟ هذه مسألة عائلية .

بينوف : **(الى لوكا)** ابعد عن هذا . حبل المشنقة ليس لك ولا لى .

لوكا : **(ملاطفاً)** نعم . كنت أريد أن أقول ان الشخص الذى لا يحسن الى جاره ، يسىء اليه .

ميدفيديف : **(وقد فاتته هذه الحكمة)** نحن هنا ... نحن كلنا يعرف أحدنا الآخر . ولكن أنت ... من أنت ؟

(ينصرف غاضباً)

لوكا : يبدو أن السيد غاضب . ان علاقاتكم هنا أيها الاخوان فيها شىء من اللخبطة .

پپل : لقد جرى ليخبر ڤاسيليسا .

بينوف : أنت أحمق يا ڤاسيا . تريد أن تظهر شجاعتك ؟

حاسب ! لا بأس بأن تكون شجاعاً عندما تخرج الى الغابات لتجمع « عيش الغراب » . ولكن الشجاعة لا معنى لها هنا . سيقطعون راسك فى غمضة عين .

پپل : اوه ، لا . لن يفعلوا ذلك . لن يستطيع احد أن يقضى على رجل من « باروسلافل » بيديه المجردتين . أما اذا أرادوها معركة ، كان لهم ما أرادوا .

لوكا : اسمع ، الا ترى من الأفضل أن تغادر هذا المكان يا بنى ؟

پپل : والى اين اذهب ؟ أجبنى على هذا السؤال .

لوكا : سيبيريا مثلا .

پپل : لا ، لست انا الذى يذهب الى سيبيريا . سأنتظر الى أن يرسلونى اليها مجاناً .

لوكا : اسمع نصيحتى وسافر الى سيبيريا . فهناك ستسلك الطريق المستقيم . فهم هناك فى حاجة الى ناس مثلك .

پپل : طريقى مرسوم لى من زمان . فقد قضى أبى معظم حياته فى السجن وأمرنى بأن اقتدى به . ومنذ صغرى يسمينى الناس «اللص» أو «ابن اللص» .

لوكا : سيبيريا مكان جميل . أرض ذهبية . واذا كان الرجل قوياً وذا عقل راجح ، استطاع أن يشق طريقه وان يترعرع فى ذلك المكان .

پيل : لماذا تقص هذه الأكاذيب أيها الرجل العجوز ؟

لوكا : ايه ؟

پيل : أصم ! لماذا تقص هذه الأكاذيب ؟

لوكا : ما هى الأكاذيب التى قصصتها ؟

پيل : كل ما تقوله كذب . كل شيء بالنسبة لك جميل ورائع : هـذا المكان ، وذلك المكان . كله كذب . ما الذى يجعلك تقص هذه الأكاذيب ؟

لوكا : كل ما عليك هو أن تصدق ما أقوله وأن تذهب الى هناك لترى بنفسك . وعندئذ ستشكرنى . لماذا تبقى هنا ؟ ولماذا تتحرق شوقاً الى معـرفة الحقيقة ؟ قد تنقلب الحقيقة فأساً تحطم راسك .

پيل : سيان عندى . اذا كانت فأساً ، فهى فأس .

لوكا : يا أحمق ! لا معنى لأن تقتل نفسك .

بينوف : علام تتناقشان ؟ هل تسعى وراء الحقيقة يا ڤاسيا؟ لماذا ؟ أنت تعرفها دون أن يخبرك بها أحد . كلنا نعرفها .

پيل : لا داعى لتعبيك هـذا . فليخبرنى هو . اسمع أيها العجوز ... هل يوجد اله ؟

(يبتسم لوكا دون أن يقول شيئاً)

بينوف : الناس أشبه بقطع من الخشب طافية على سطح الماء .... وهذه القطع تتطاير بينما يجرى بناء البيوت .

پيل : تكلم ... هل يوجد اله ؟ أجب .

لوكا : **(فى هـدوء)** يوجد ، اذا كنت تؤمن بوجوده . ولا يوجد ، اذا لم تكن تؤمن بوجوده . أن ما تؤمن به هو الذى يوجد .

(يحملق پيل فى العجوز فى عجب صامت)

بينوف : انا ذاهب لأشرب الشاى . هل يأتى معى أحد ؟

لوكا : **(الى پيل)** فيم تحملق ؟

پيل : لا شيء . اسمع . أنت تقصد ...

بينوف : اذن سأذهب وحدى .

(يتجه نحو الباب فيلتقى بڤاسيليسا)

پيل : بعبارة أخرى ، أنت ...

ڤاسيليسا : **(الى بينوف)** هل ناستيا هنا ؟

بينوف : لا **(يخرج)**

پيل : آه ، هذه هى .

ڤاسيليسا : **(ذاهبة الى آنا)** ما زالت حية ؟

لوكا : لا تزعجيها .

ڤاسيليسا : ماذا تفعل أنت هنا ؟

لوكا : أستطيع أن أرحل اذا أردت .

ڤاسيليسا : **(ذاهبة نحو باب غرفة پيل)** ڤاسيا ، أريد أن احدثك فى مسألة .

(يذهب لوكا نحو باب الردهة فيفتحه ثم يصفقه فيغلق . يصعد بحذر فوق احدى المصاطب ومنها الى الفرن)

فاسيليسا : **(من غرفة پيل)** فاسيا ، تعال هنا .

پيل : لا رغبة لى فى هذا .

فاسيليسا : ماذا حدث ؟ لماذا أنت غاضب ؟

پيل : متضايق . سئمت كل هذا .

فاسيليسا : سئمتنى أيضاً .

پيل : نعم ، انت أيضاً .

(تحكم فاسيليسا الشال حول كتفيها ضاغطة بيديها على صدرها . تذهب الى سرير آنا وتنظر من خلال الناموسية ثم تتجه الى پيل)

پيل : قولى ما تريدين قوله .

فاسيليسا : وماذا أقول ؟ لا أستطيع أن أجعلك تحبنى ، وليس من طبيعتى الاستجداء . أشكرك لمصارحتى بالحقيقة .

پيل : أية حقيقة ؟

فاسيليسا : انك سئمتنى . أم لعلها ليست الحقيقة .

(يحدق فيها پيل دون ان يتكلم)

فاسيليسا : الام تنظر ؟ الا تعرفنى ؟

پيل : **(وهو يتنهد)** انت جميلة جداً يا فاسيليسا **(تضع يده على كتفه ولكنه يزيحها)** ولكنك لم تفوزى بقلبى أبداً . عشت معك ، الى آخر ما هناك ، ولكننى لم احبك أبداً .

فاسيليسا : **(لاهثة)** هكذا . طيب ...

پيل : وليس بينى وبينك ما نتحدث عنه . لا شىء بالمرة . ابعدى عنى .

فاسيليسا : هل أحببت امرأة أخرى ؟

پيل : وما شأنك فى هذا ؟ اذا كنت احببت امرأة اخرى فلن أطلب منك مساعدتى فى الحصول عليها .

فاسيليسا : **(بلهجة ذات مغزى)** يا خسارة ! لعل فى استطاعتى أن أساعدك فى الحصول عليها .

پيل : **(بارتياب)** الحصول على من ؟

فاسيليسا : انت تعرف من . لماذا التغابى ؟ أنا متعودة على الحديث الصريح يا فاسيا **(تخفض صوتها)** انا لا أنكر ... أنك أهنتنى . كما لو كنت ضربتنى بالكرباج بدون سبب وبدون هدف . قلت انك تحبنى ، وعلى حين فجأة ...

پيل : ليس على حين فجأة . كان هذا شعورى من زمن طويل . أنت لا قلب لك يا مراة . لابد أن يكون للمراة قلب . نحن الرجال وحوش ، وانتن لابد ... لابد أن تقمن بتهذيبنا وتعليمنا . فماذا علمتنى أنت ؟

فاسيليسا : ما فات مات . انا ادرك أن الشخص لا يملك من أمر نفسه شيئاً . اذا كنت لم تعد تحبنى ، فسأتقبل هذا . هكذا سيكون موقفى .

پيل : اذن ، فقد انتهى ما بيننا ؟ سنفترق بسلام ، دون ضجة ؟ هذا حسن .

ڤاسيليسا : اوه ، لا . انتظر لحظة . لا تنس أننى كنت دائماً آمل أن تساعدنى على طرح هذا العبء الثقيل عن كتفى . كنت اظن أنك ستساعدنى على الفرار من زوجى ، وخالى ، ومن هذه المعيشة كلها . ولعلنى لم اكن احبك كل هذا الحب ، بقدر ما كنت أحب هذا الأمل ، فكرتى هذه ! هه ؟ كنت انتظرك لكى تنقذنى .

پيل : لا انت مسمار ، ولا انا كماشة . انا ايضاً كنت اظن أن امراة شاطرة مثلك ، نعم انت شاطرة ، انت ذكية ...

ڤاسيليسا : **(تجاهد نفسها لكيلا تقترب منه)** ڤاسيا ، فليساعد كل منا الآخر .

پيل : كيف ؟

ڤاسيليسا : **(تغتصب الكلمات فى صوت خفيض)** اختى ... انا أعلم أنك تحبها .

پيل : ولهذا تضربينها ؟ حاسبى يا ڤاسيليسا ! ارفعى يدك عنها .

ڤاسيليسا : انتظر . لا تغضب . نستطيع أن نرتب كل شيء فى هدوء ، بدون غضب . ما رأيك فى ... فى ان تتزوجها ؟ سأعطيك بعض المال ، ٣٠٠ روبل .

واذا حصلت على أكثر من ذلك اعطيته لك أيضاً ؟

پيل : **(مبتعداً)** ماذا ؟ ماذا وراء ذلك ؟

ڤاسيليسا : ساعدنى فى التخلص من زوجى . . أبعد حبل المشنقة هذا عن رقبتى .

پيل : **(يصفر صفيراً رقيقاً)** اذن فهذا هو السبب ! اوه ! انت فعلا شاطرة . زوجك فى القبر ، وعشيقك فى السجن ، وانت ...

ڤاسيليسا : ڤاسيا . لماذا تكون فى السجن ؟ لا تفعل ذلك بنفسك .... ابحث عن أحد يفعل ذلك . وحتى لو فعلتها انت نفسك ، فمن الذى سيعرف ؟ ناتاشا ... فكر ... سيكون معك مال ... تستطيع أن تهرب ... سأكون انا حرة الى الأبد ... أما عن اختى فسيكون من الخير لها أن تبتعد عنى . فمن الصعب على أن أراها طول الوقت . ذلك يجعلنى أشعر بالحقد والمرارة بسببك . لا أستطيع أن امنع نفسى من ذلك . أنا اعذبها . أضربها . أضربها الى ان يبكى الناس ، حتى انا ، لرؤيتها . ولكننى أضربها بالرغم من ذلك ، وسأظل أضربها .

پيل : انت متوحشة . وتتباهين بهذا .

ڤاسيليسا : لا . انا لا اتباهى . كل ما فى الأمر اننى اقول الحق . فكر ، يا ڤاسيا . لقد سجنوك مرتين

بسبب زوجى هذا ... بسبب جشعه . انه يمتص دمى كالعلقة . يمتص دمى من أربع سنين . اى نوع من الأزواج هو ؟ ثم هو يعتصر ناتاشا ، ويعكنن عليها ويناديها يا « شحاتة » . انه يسمم بدن كل واحد .

پيل : انت ماكرة .

ڤاسيليسا : المسألة واضحة كالشمس . اذا لم تفهم مرادى فأنت اذن احمق .

(يدخل كوستليوف فى هدوء ويتسلل نحوهما)

پيل : **(الى ڤاسيليسا)** أخرجى !

ڤاسيليسا : فكر **(ترى زوجها)** ماذا تريد ؟ هل تبحث عنى ؟

(يفزع پيل وينظر الى كوستليوف نظرات وحشية) .

كوستليوف : انتما هنا ... وحدكما ؟ تتحادثان ؟ هه ؟ **(وعلى حين فجأة يدق الأرض بقدمه ويبدأ فى الصراخ)** عليك اللعنة يا ڤاسيليسا ! أنت ياشحاتة ! **(يشعر الآن بالفزع من صراخ نفسه ومن الصمت البارد الذى قوبل به هذا الصراخ)** يارب ، اغفرلى ! أنت تقودينني الى الخطيئة مرة اخرى يا ڤاسيليسا ! هأنذا أبحث عنك فى كل مكان **(يرفع صوته من جديد)** كان يجب أن تكونى فى سريرك الآن . لقد نسيت أن تشعلى مصباح الأيقونة ، عليك

اللعنة ! يا حلوفة ! يا صعلوكة ! **(يلوح نحوها باصبع مرتعش . تشير ڤاسيليسا ببطء نحو باب الردهة وعيناها مثبتتان على پيل)**

پيل : **(الى كوستليوف)** اخرج من هنا . قلت لك اخرج .

كوستليوف : **(صائحاً)** أنا صاحب هذا المكان . اخرج أنت يا لص !

پيل : **(فى صوت مكتوم)** قلت لك اخرج .

كوستليوف : اياك ! سأريك ! أنا سـ ...

(يمسك به پيل من ياقته ويهزه . وفجأة يسمع صوت شخص يتحرك فوق الفرن ويتثاءب بصوت عال مستطيل . پيل يترك كوستليوف الذى يجرى صائحاً نحو الردهة)

پيل : **(يقفز على المصطبة المجاورة للفرن)** من هناك ؟ من فوق الفرن ؟

لوكا : **(يطل برأسه)** ايه ؟

پيل : أنت ؟

لوكا : أنا . أنا بنفسى . أوه ، يارب السموات !

پيل : **(يغلق باب الردهة ويبحث عن الترباس دون جدوى)** اللعنة ! انزل يا عجوز !

لوكا : حالا ! نازل !

پيل : **(بخشونة)** لماذا نمت فوق هذا الفرن ؟

لوكا : وأين كنت تريد أن انام ؟

پيل : كنت خرجت الى الردهة .

لوكا : هذا مكان بارد لا يستطيع أن ينام فيه عجوز مثلى .

پيل : هل ... سمعت شيئاً ؟

لوكا : طبعاً سمعت . كان لابد أن اسمع . هل تظن اننى أصم ؟ أنت سعيد الحظ يا رجل ! أنت سعيد الحظ !

پيل : **(فى ارتياب)** لماذا تقول هذا ؟

لوكا : من حسن حظك أننى نمت فوق هذا الفرن .

پيل : لماذا أصدرت كل هذه الضجة ؟

لوكا : لم اطق الحرارة الشديدة . ولك أن تحمد الله على هذا . فقد قلت لنفسى ان هذا الشاب سينسى نفسه وسيخمد أنفاس الرجل .

پيل : كنت سأخمد أنفاسه بالتأكيد . انا أكره هـ ....

لوكا : أنا عارف . المسألة سهلة جداً . كثيراً ما يزل الناس زلات كهذه .

پيل : **(مبتسماً)** لعلك زللت هذه الزلة فى يوم من الأيام !

لوكا : اسمع ايها الشاب ، اسمعنى . ابعد عن هذه المرأة ، احترس! احترس ! هى ستتخلص من رجلها هذا بدون مساعدتك ، وبطريقة أحسن . لا تصغ اليها ، لا تصغ الى هذه الشيطانة . انظر الى ... انظر الى رأسى ... ليس فيها ولا شعرة . وما السبب ؟ النساء ! لقد عرفت من النساء فى شبابى

اكثر مما كان فى رأسى من شعر . ولكن فاسيليسا هذه أسوأ من أى غولة !

پيل : لست ادرى هل أشكرك أم ...

لوكا : لا تقل شيئاً . لن تجد كلاماً خيراً من الذى قلته انا . استمع الىّ ... هذه الفتاة التى تحبها ... ما عليك الا أن تأخذ ذراعها وترحل . ابعد عن هنا . اذهب الى أبعد ما تستطيع .

پيل : **(متجهماً)** لا سبيل الى معرفة الناس ... أيهم طيب وأيهم شرير . لا سبيل !

لوكا : ولماذا تريد أن تعرف ؟ الشخص نفسه لا يبقى على حاله . المسألة تتوقف على قلبه وما به من مشاعر . فهو اليوم طيب ، وهو غداً شرير . أما اذا كانت هذه الفتاة قد استولت على قلبك حقاً فارحل معها وليكن ما يكون . والا ، فارحل وحدك . انت ما زلت شاباً . أمامك متسع من الوقت لتحصل على امرأة .

پيل : **(يمسك به من كتفيه)** اصدقنى القول . لماذا تقول لى هذا ؟

لوكا : دعنى . سألقى نظرة على أنا . كانت تتنفس بصعوبة من لحظة **(يتجه الى سرير أنا ، ويفتح الناموسية ، ثم ينظر ، ويلمسها . يرقبه پيل فى نظرة مفكرة حائرة)** ارحمها يا رب ! يا رحيم . تقبل روح خادمتك أنا !

پيل : **(لاهثاً)** الموت ؟ **(يجاهد نفسه ويتقدم نحو السرير ليتمكن من رؤيتها ولكنه لا يستطيع أن يبلغ السرير)**

لوكا : **(برقة)** انتهى الآن عذابها . أين زوجها ؟

پيل : فى البار على ما أظن .

لوكا : لابد أن يعلم .

پيل : **(يرتعد)** أنا أكره الجثث .

لوكا : **(ذاهباً الى الباب)** ولماذا تحبها ؟ هم الأحياء الذين يجب أن نحبهم ! الأحياء لا الأموات !

پيل : سأخرج معك .

لوكا : تخاف من الجثث ؟

پيل : أكرهها .

(يهرولان الى الخارج . المسرح خال ساكت . تأتى من وراء باب الردهة أصوات غير واضحة . وفى النهاية يدخل الممثل)

الممثل : **(لا يغلق الباب بل يقف عند العتبة متكئاً على الباب وهو ينادى بصوت عال)** يا عجوز ! أين أنت ؟ لقد تذكرت الأبيات . اسمع **(يتقدم خطوتين بغير اتزان ثم يتخذ موقفاً تمثيلياً)**

اذا لم نهتد الى السبيل الذى يؤدى ...
الى مملكة الحقيقة المقدسة ....

فالخير اذن فى العقل المجنون ...
الذى يجلب للناس الأحلام المحلقة ...

(تظهر ناتاشا بالباب خلف الممثل)

الممثل : يا عجوز !

اذا كفت الشمس غداً ،
عن اضاءة الأرض باشعاعها ،
فغداً تستضىء الدنيا ،
بشخص يحلم احلام الجنون .

ناتاشا : **(تضحك)** عبيط !

الممثل : **(يتلفت اليها)** آه ، أنت ! أين العجوز ؟ الرجل العجوز الطيب ؟ لا أحد هنا . وداعاً يا ناتاشا ! وداعاً !

ناتاشا : **(تدخل)** تقول وداعاً قبل أن تقول مرحباً ؟

الممثل : **(يعترض طريقها)** أنا ... راحل . وعندما يأتى الربيع ، لن أكون بين الأحياء .

ناتاشا : دعنى أمر . الى أين تذهب ؟

الممثل : بحثاً عن مدينة معينة . سعياً وراء العلاج . أنت أيضاً لابد أن ترحلى . يا أوفيليا ، اذهبى الى دير . هناك ، فيما يبدو ، يوجد مركز لعلاج مدمنى الخمر . مكان رائع . كله مبنى من الرخام ... حتى الأرضية . براق جداً . ونظيف جداً . والطعام موفور . كله مجاناً . أرضية رخام .

تصورى ! سأعثر على هـذا المكان ، وأشـفى ، وعندئذ ... انا على وشك أن أولد من جديد ... كما قال الملك ... الملك لير . اسمى المسرحى هو « سفرتشـكوف زاڤولزكى » يا ناتاشا ، ولـكن لا أحد يعرفه . لا أحد . وأنا هنا لا اسم لى . هل تدركين مبلغ الألم فى أن يفقد الرجل اسمه ؟ حتى الكلاب لها أسماء ....

(تتجاوز ناتاشا الممثل بمسافة مأمونة ثم تتجـه الى سرير انا وتنظر خـلال الناموسية)

الممثل : لا اسم ، لا رجل .

ناتاشا : انظر ! يا رب ! هى ميتة !

الممثل : **(يهز رأسه)** لا يمكن !

ناتاشا : **(متراجعة)** هى ميتة . انظر .

بينوف : **(بالباب)** ينظر الى ماذا ؟

ناتاشا : أنا . ماتت .

بينوف : أخيرا ، كفت عن السعال **(يتجـه الى سرير انا وينظر خلال الناموسية ثم يذهب الى مصطبته)** لابد أن نخبر كليش . فهذا شأنه .

الممثل : سأذهب أنا . لقد فقدت اسمها **(يخرج)** .

ناتاشا : **(فى وسط الغرفة)** وانا أيضـا ... فى يوم من الأيام ... سأكون مثلها ... أرقد فى قبو مظلم ... يداس بالأقدام ...

بينوف : **(ينشر بعض خرق قديمة فوق مصطبته)** ماهذا ؟ ماذا تقولين ؟

ناتاشا : كنت أكلم نفسى .

بينوف : تنتظرين ڤاسـيا ؟ حاسبى ! سـتموتين بسبب ڤاسيا هذا .

ناتاشا : وهل يهم بسبب من أموت ؟ فليكن هو السبب . هو أحسن من كثيرين .

بينوف : **(يضطجع)** هذا شأنك .

ناتاشا : أحسن لها بالطبع أن تموت ... ولكن مسكينة ! من أجل ماذا تعيش ؟

بينوف : الأمر سواء بالنسبة الينا جميعاً : نولد ، ونقضى حياتنا ، ثم نموت . سـأموت . وانت كذلك . فلماذا نأسى لأحد ؟

(يدخل لوكا والتترى وكريڤوى زوب وكليش . كليش آخـر الداخلين . يمشى ببطء وقد انحنى ظهره)

ناتاشا : شش! انا ...

زوب : عرفنا . فلترقد الآن فى سلام ، بعد أن ماتت !

التترى : **(الى كليش)** لابد ان نخرجها من هنا . لابد ان نخرجهـا الى الردهـة . لا يمكن أن يبقى هنـا أموات . هنا ينام الأحياء .

كليش : **(فى لهجة هادئة)** سنخرجها .

(يتجهون جميعاً الى السرير . يحملق كليش فى زوجته من فوق أكتاف الآخرين)

زوب : **(الى التترى)** هل تظن أن سيكون لها رائحة ؟ لم يبق منها شيء يبعث رائحة . فقد جف بدنها وهى ما تزال حية .

ناتاشا : يا رب ! ألا تشعرون بالأسف على الأقل من أجلها ! قولوا كلمة طيبة واحدة . ولكن ليس أنتم !

لوكا : لا تبالى بهم يا عزيزتى . كيف تنتظرين منهم ... كيف تنتظرين من أى واحد منا أن يرثى للموتى اذا كنا لا نرثى للأحياء . بل نحن لا نرثى حتى لأنفسنا ، فما بالك بالموتى ؟

بينوف : **(يتثاءب) لا تستطيعين أن تفزعى الموت بالكلام .** قد تفزعين المرض ، ولكن ليس الموت .

التترى : **(مبتعداً)** نادوا الشرطة .

كليش : لا . سيطلبون منى أن أدفنها ، وليس معى الا اربعون كوبك .

زوب : فى هذه الحالة ، أقترض بعض النقود . نستطيع ان نجمع لك بعض المال ... خمسة كوبك من كل واحد ... أى مبلغ يستطيع كل واحد ان يدفعه . ولكن أسرع وأخطر الشرطة والا ظنوا أنك قتلتها .

(يتجه ناحية المصاطب ويوشك أن يضطجع بجوار التترى)

ناتاشا : **(تتجه الى بينوف)** الآن سأحلم بها . أنا دائماً أحلم بالموتى . وأخشى أن أذهب الى البيت حدى. أردهة مظلمة .

لوكا : **(يسير وراءها الى الخارج)** الأحياء هم الذين يجب أن تخشى ، صدقينى .

ناتاشا : اصحبنى الى الخارج يا جدى .

لوكا : تعالى . تعالى . سأصحبك **(يخرجان . صمت)** .

زوب : أو هو ! يا حسن ! الربيع على الأبواب . أخيرا سنشعر بالدفء . بدأ الفلاحون فى الريف فى اصلاح محاريثهم ومجاريفهم ، يستعدون لحرث الأرض . ونحن ؟ ايه يا حسن ؟ تشخر ؟ مسلم ملعون .

بينوف : التتر يجيدون النوم .

كليش : **(يقف وسط النزل يحملق فيما أمامه بغباء)** ماذا أفعل الآن ؟

زوب : اذهب فنم . هذا كل ما فى الأمر.

كليش : **(بحنان)** وهى ؟

(لا أحد يجيب . يدخل ساتين والممثل)

الممثل : **(صائحاً)** يا عجوز ! تعال هنا يا خلى الوفى !

ساتين : أفسحوا الطريق للمكتشف العظيم !

الممثل : لقد اتخذت قراراً لا رجعة فيه . . يا عجوز ! أين هذه المدينة ؟ أين أنت ؟

ساتين : سراب ! خدعك العجوز ! لا توجد مدينة كهذه . لا مدينة . ولا ناس . ولا شيء كهذا .

الممثل : كذب !

التترى : (**يقفز من مصطبته**) أين الممالك ؟ سأذهب الى الممالك . لا أستطيع أن أنام ، فلماذا ادفع النقود ؟ أموات ! سكارى !

(**يخرج مهرولا . ساتين يصفر خلفه**)

بينوف : (**وقد دب اليه النعاس**) ناموا يا اصدقائى . كفوا عن الضجيج . المفروض أن ينام الناس بالليل .

الممثل : آه ! هنا يرقد جثمان . « لقد التقطت مصايدنا جثماناً » . شعر . من « بيرانچيه » .

ساتين : (**صائحاً**) الجثمان لا يسمع شيئاً ! الجثمان لا يحس شيئاً ! صيحوا ما شئتم ! فالجثمان لا يسمع شيئاً !

(**يظهر لوكا بالباب**)

ستار

الفصل الثالث

(فناء خلفى تناثرت فيه القاذورات والأعشاب الطويلة . سور عال من الطوب الأحمر يلتقى مع منظر السماء . أمام هذا الحائط تنمو أعشاب أطول . الى اليمين سور داكن اللون من خشب الأشجار ، لعله لورشة أو اسطبل . الى اليسار بيت كوستليوف . النزل فى البدروم . البيت رمادى اللون ، متداع ، وقد أخذ الطلاء ينهار . يبدو البيت بزاوية ، بحيث يكاد الركن البعيد منه يصل الى الوسط فى مؤخرة المسرح فلا يترك الا ممراً ضيقاً بين السور والبيت . للبيت نافذتان ، واحدة للبدروم فى مقدمة المسرح ، والأخرى أعلى منها بنحو ست أقدام فى مؤخرة المسرح . على مقربة من البيت كتلة خشب يبلغ طولها اثنى عشر قدماً . والى جوارها مركبة جليد خشبية خربة مقلوبة . ألواح وكتل من الخشب مكومة بالقرب من البيت الى اليمين . النهار يقترب من غايته ، والشمس الغاربة تلقى بأشعتها وهجاً أحمر على السور . نحن فى مطلع الربيع . والثلج لم يذب الا منذ قريب ، والأعشاب الطويلة لم تنبت لها براعم بعد . ناتاشا وناستيا جالستان على كتلة الخشب . لوكا والبارون جالسان على مركبة الجليد . كليش مستلق على كوم الأخشاب الى اليمين . نرى وجه بينوف من نافذة البدروم)

ناستيا : **(تغمض عينيها وتهز رأسها فى ايقاع يلائم التنغيم الذى تروى به روايتها)** وهكذا جاء الى الحديقة بالليل ، الى القصر الصيفى ، حسب الخطة التى رسمناها . وكنت قد طال انتظارى حتى صرت أرتعش من الخوف والأسف . وكان هو أيضاً يرتعش ، وكان شاحب اللون ، وفى يده مسدس . .

ناتاشا : **(تمضغ بذور نبات عباد الشمس)** اذن فلابد أن يكون صحيحاً ما يقولونه عن اليأس الذى يشعر به الطلبة .

ناستيا : ثم قال لى فى صوت مرعب « يا حبيبتى الغالية . .

بينوف : ههو ! غالية ، هه ؟

البارون : اسكت . اذا لم يعجبك هذا الحديث فلا تستمع اليه . ولكن لا تقاطع أكاذيبها . هه ، وبعد ذلك ؟

ناستيا : قال لى « يا غالية ، يا حبيبتى . لن يوافق والداى أبداً على أن أتزوجك . فهما يهددان بأن يلعنانى الى الأبد لحبى اياك . ولهذا السبب لابد أن أنتحر » . وكان معه ذلك المسدس بكل ما فيه من رصاص . ثم قال « وداعاً يا حبيبة قلبى . لن أتحول عن قرارى . لا أستطيع العيش بدونك » . فقلت له « يا صديقى العزيز ، يا راءول » .

بينوف : **(فى دهشة)** ماذا ؟ غول ؟

البارون : **(يضج بالضحك)** لقد نسيت يا ناستيا ! آخر مرة كان اسمه جاستون .

ناستيا : **(تقفز)** اسكتوا يا حثالة . أنتم يا متشردون . أنتم لا تفهمون الحب . . . الحب الصحيح . أما أنا . . . فقد عرفته . . . الحب الصحيح **(الى البارون)** أنت تافه . أنت وتعليمك . أنت الذى كنت تشرب القهوة فى السرير .

لوكا : اسمعوا . لا تقاطعوها . دعوها تتم قصتها . الكلمات لا تهم . وانما المهم هو ماوراء الكلمات . . . هذا هو المهم . استمرى يا ابنتى . لا تبالى بهم .

بينوف : غراب بريش طاووس . طيب . فلنستمع الى الباقى .

البارون : استمرى .

ناتاشا : لا تلتفتى اليهم . من هم ؟ انهم غيورون لأنهم ليس عندهم ما يروونه عن أنفسهم .

ناستيا : **(تجلس)** لا أريد أن أستمر . لن أحكى أكثر من ذلك . ما داموا لايصدقوننى ويسخرون منى . . . **(تسكت فجأة ، لحظة ، ثم تغلق عينيها وتمضى فى قصتها بصوت عال منفعل ، وهى تصفق بيديها فى ايقاع كما لو كانت تستمع الى موسيقى بعيدة)** وقلت له : يا حبة عينى ! يا شمس روحى ! ولا أنا أستطيع العيش فى هذه الدنيا بدونك ، لأننى أحبك من كل روحى ، وسأظل أحبك ما ظل هذا القلب ينبض فى صدرى . ولكن لا تقطع حياتك ،

تلك الحياة التى يحتاج اليها والداك العزيزان أشد الحاجة ، فأنت كل ما لهما فى الحيـاة . اتركنى . فالأفضل أن تنقضى حياتى فى اللهفة عليك ياحبيبى. انا وحيدة . انا . . . أنا من هذا النوع . دعنى امض الى حتفى . فالأمر عنـدى سـواء . أنا لا أساوى شيئاً . لم يبق لى شيء . لا شيء . . . لا شيء . . .

(تغطى وجهها بيديها وتبكى فى صمت)

ناتاشا : **(تشيح بوجهها وتخاطبهـا بعطف)** لا تبـكى . لا تبكى .

(يبتسم لوكا ويربت على راس ناتاشا)

ببنوف : **(ضاحكا)** فتاة رائعة !

البارون : **(ضاحـكاً هو الآخر)** هل تظن أن هذا صحيح ياجدى ؟ هذا كله منقول من رواية «الحب القاتل». كلام فارغ . دعها فى حالها .

ناتاشا : وما شأنك أنت ؟ اغلق فمك ما دام الله قد اراد لك أن تصير الى ما صرت اليه .

ناستيا : **(ثائرة)** انت لا روح لك ! انت لا قـلب لك ! أين قلبك ؟

لوكا : **(ياخذ بيد ناستيا)** سنذهب من هنا يا عزيزتى . لا تبالى بهم . أنت التى على حق ، وليسوا هم . انا فاهم . ما دمت تعتقدين انك جربت ذلك الحب

الصحيح ، فلأبد أن تكونى جربته بالفعل . نعم ، انت جربته فعلا . ولكن لا تغضبى من الشخص الذى تعاشرينه . لعل الغيرة هى التى تجعله يسخر منك . ولعله لم يعرف الحب الصحيح أبداً . بل لعله لم يعرف اى نوع من انواع الحب على الاطلاق. تعـالى .

ناستيا : **(تضغط صـدرها بيديها)** صدقنى يا جدى ! اقسم لك بأن هـذا حدث . كل ما قلتـه . كان طالباً . . . فرنسـياً . كان اسمه جاستـون . كانت له لحية طويلة سوداء . وكان يلبس حذاءً طويلا . فلأمت فى هذه اللحظة اذا لم أكن قلت الحق ! كم كان يحبنى ! كم كان يحبنى !

لوكا : فاهم ، فاهم ! انا أصدقك . حذاء طويل ! ياسلام ! وكنت تحبينه أيضاً **(يختفيان)**

البارون : عاهر غبية ! قلبها طيب ، ولكننى لم أر اغبى منها !

ببنوف : لماذا يكذب اى شخص بهذا الشكل ؟ وتقسم بانه الحق ، كما لو كانت فى المحكمة !

ناتاشا : الكذب ألذ من الصدق ! أنا أيضا . . . .

البارون : أنت أيضا ؟ ثم ماذا ؟

ناتاشا : أحلم وأحلم . وأنتظر .

البارون : ماذا تنتظرين ؟

ناتاشا : **(تبتسـم دون وعى)** لا أدرى . اظل أحلم بأن

غداً سيأتى ... فيأتى شخص ... شخص معين . أو يحدث شيء . شيء غير عادى . واظل انتظر . دائماً انتظر . ولكن عندما أفكر فى الأمر ، اقول لنفسى ، ماذا يمكن أن يحدث ؟

(صمت)

البارون : **(بابتسامة صفراء)** لا يوجد شيء لتنتظريه . فأنا مثلا . أنا لا انتظر اى شيء . كل شيء انتهى . راح . انقضى . ثم ماذا ؟

ناتاشا : أو ارى نفسى أموت غداً على حين فجاة . وعندئذ اشعر بالبرد يسرى فى داخل بدنى . الصيف هو احسن وقت تتخيل فيه نفسك ميتاً لأنه شهر الصواعق . ومن السهل أن يصعقك البرق .

البارون : أنت تعيشين عيشة بائسة . والغلطة غلطة اختك ... لها مزاج شيطانى !

ناتاشا : ومن الذى يعيش عيشة طيبة ؟ كل الناس يعيشون عيشة بائسة . أليس لى عينان ؟

كليش : **(حتى الآن كان يرقد بلا حراك فى عزلة عنهم ، ولكنه يقفز عند سماعه هذه الكلمات)** كل الناس ؟ هذا كذب . ليس كل الناس . لو كان كل الناس كما تقولين ، لما كان الأمر سيئاً الى هذا الحد . اذن لما كان يهمك ما أنت فيه .

بينوف : أى شيطان وخزك هذه المرة ؟ لماذا تصرخ هكذا ؟
(يرقد كليش ثانية وهو يتمتم لنفسه)

البارون : سأذهب لأصالح ناستيا . اذا لم أصالحها فلن تعطينى نقوداً لأشرب .

بينوف : ممم ... كم يحب الناس الكذب ! هذه ناستيا ! من الممكن أن تفهمها . لقد تعودت على أن تصبغ وجهها . ولذا تظن أنها تستطيع أن تفعل نفس الشيء بروحها . تستطيع أن تصبغ روحها باللون الأحمر . ولكن لماذا يكذب الآخرون ؟ لوكا مثلا ؟ انه يكذب بدون أن يستفيد شيئاً من ذلك . هو الرجل العجوز ! لماذا يفعل ذلك ؟

البارون : **(مستهزئاً وهو يخرج)** كلهم أرواحهم رمادية اللون . وهم جميعاً يحبون أن يصبغوها بقليل من اللون الأحمر .

لوكا : **(يدخل من عند الركن)** لماذا أغضبت هذه الفتاة يا سيادة البارون ؟ دعها تهنأ فى حزنها . اذا كانت تجد راحة فى دموعها ، فما شأنك أنت ؟

البارون : هى فتاة غبية أيها العجوز . تثير أعصابى . هو اليوم راءول ، وغداً جاستون ، والقصة هى هى . على اى حال ، سأذهب لأصالحها **(يخرج)**

لوكا : نعم . كن لطيفاً ورقيقاً معها . فلن يضير الانسان أبداً أن يكون لطيفاً مع الناس .

ناتاشا : أنت طيب القلب يا جدى . ما الذى يجعلك رحيماً هكذا ؟

لوكا : رحيم ؟ لك رأيك **(موسيقى رقيقة صادرة عن اكورديون ، وغناء يأتيان من الجانب الآخر للحائط)**

لابد ان يكون فى هذا العالم شخص رحيم . لابد ان نشعر بالعطف على الناس . كان المسيح يحب كل الناس ، وقد طلب منا أن نقتدى به . وانا اقول لكم ان من الممكن فى كثير من الحالات انقاذ الشخص باظهار العطف عليه قبل فوات الأوان . كما حدث لى مثلا عندما كنت أعمل حارساً فى مزرعة يملكها احد المهندسين بالقرب من مدينة « تومسك » . كانت هذه المزرعة تقع وسط الغابات . وكنا فى الشتاء ... والمزرعة فى غاية الروعة ... وأنا وحدى فى المزرعة . الى أن سمعت ذات يوم بعض الأصوات ... صوت شخص يقتحم طريقه .

ناتاشا : لصوص ؟

لوكا : نعم ، كانوا لصوصاً ، يسطون على المزرعة . التقطت بندقيتى وخرجت . ورأيتهما . كانا اثنين يفتحان النافذة . كانا منهمكين فلم يريانى . وصحت فيهما « هيه . اخرجا من هنا » . فتقدما منى ومعهما فأس . فصحت فيهما وأنا أصوب بندقيتى نحو أحدهما أولا ثم نحو الآخر ثانياً « اذا لم تقفا مكانكما ، أطلقت النار » . واذا بهما يخران على ركبهما يتوسلان الى أن أدعهما

يذهبان . ولكننى كنت عندئذ فى أشدّ حالات الغيظ بسبب هذه الفأس . فقلت لهما « لقد امرتكما بالخروج أيها الشقيان فلم تخرجا . أما الآن فليذهب واحد منكما ويقطع فرعاً كبيراً من هذه الأشجار » . فلما جاء أحدهما بالفرع أمرت كلا منهما أن يرقد ليعطيه الآخر علقة طيبة . وهكذا ضرب كل منهما الآخر . فلما انتهينا من ذلك قالا لى « يا جدنا ، أعطنا شيئاً لنأكل بحق المسيح . فنحن نجوب هذه المنطقة ببطون خاوية » . هؤلاء هم اللصوص ! **(يضحك)** وهذه هى الفأس ! كلاهما رجل طيب . قلت لهما « لماذا لم تأتيا وتطلبا منى شيئاً تأكلانه من البداية ؟ » فقالا انهما سئما السؤال والطلب . فقد طلبا وطلبا ولكن لم يعطهما أحد شيئاً . وبعد ذلك اقاما معى طول الشتاء . كان أحدهما ، واسمه ستيبان ، يحمل البندقية ويخرج الى الغابة . أما الثانى ، واسمه ياكوف ، فكان مريضاً طول الوقت . كان دائماً يسعل . وقمنا نحن الثلاثة بحراسة المزرعة . فلما جاء الربيع قالا وداعاً يا جدى . ورحلا . اتجها الى الغرب .

ناتاشا : هل كانا هاربين من السجن ؟

لوكا : نعم . كانا هاربين من السجن . هاربين من ذلك

المكان الذى نفيا اليه . كانا شابين يافعين . ولو لم تأخذنى الشفقة عليهما عندئذ فربما كانا قد قد قتلانى أو فعلا شيئاً سيئاً من هذا القبيل ، ولكان معنى ذلك المحاكمة فالسجن فسيبيريا . لماذا ؟ لا يمكن للسجن أن يعلم الشخص ما هو صواب . ولا يمكن لسيبيريا أن تعلم الشخص ما هو صواب . أما الانسان ... الانسان يستطيع أن يعلم الشخص ما هو صواب ، وبسهولة .

(صمت)

بينوف : أنا مثلا ... لا أجيد الكذب . لماذا أكذب ؟ رأيى الا يتردد الانسان فى قول الصدق . فماذا نخشى ؟

كليش : **(يقفز مرة أخرى كالملسوع ويصرخ)** الصدق ؟ اى صدق ؟ **(يمزق الخرق التى يلبسها)** هذا هو الصدق . لا عمل . لا قوة . هذا هو الصدق . لا مأوى . ولا سقف أملكه . لا شىء الا أن أموت كالكلب . هذا هو الصدق الذى تتحدث عنه ، أيها الشيطان العجوز . ما حاجتى أنا الى صدقك هذا ؟ كل ما أريده هو أن تتاح لى فرصة التنفس ... أن أتنفس حياً . ماذا ارتكبت من خطأ ؟ ما حاجتى أنا الى صدقك

هذا ؟ أريد أن تتاح لى الفرصة لأعيش ! دنيا لعينة ! انهم لا يتركونك تعيش ، وهذا هو الصدق .

بينوف : هذا الفتى متأثر جداً !

لوكا : يا رب ! ولكن اسمع ياصديقى . أنت ...

كليش : **(يرتعد انفعالا)** كلكم تتشدقون بالحديث عن الصدق . أنت يا عجوز ، تحاول أن تعزى كل واحد . اذن فاسمع ، أنا أكره كل واحد ، وهذا هو الصدق ، عليه اللعنة الى الأبد ! هل تفهم ؟ لقد حان الوقت لأن تفهم ! فليذهب صدقك الى جهنم **(يجرى حول ركن المنزل وهو ينظر وراءه ويصرخ)** .

لوكا : يارب ، يارب ، يارب ، ! هذا الفتى ساخط أشد السخط ! الى أين خرج ؟

ناتاشا : خرج عن وعيه .

بينوف : حاجة مسلية جداً . كالتمثيل تماماً . هذا لايحدث كثيراً . لم يتعود على الحياة بعد .

پيل : **(يدخل على مهل آتياً من المنزل)** سعيدة ، يا اخوان . آه ، لوكا ، أيها الثعلب العجوز الماكر ، أما زلت تروى حواديتك وخزعبلاتك ؟

لوكا : كان يجب أن تسمع ما انفجر به هذا الرجل منذ لحظة .

پيل : من ؟ كليش ؟ ماذا حدث له ؟ لقد رايته يجرى كما لو كان الشيطان يجرى وراءه .

لوكا : اى واحد لابد ان يجرى اذا انكسر قلبه هكذا .

پيل : (**يجلس**) أنا لا احب هذا الشاب . متكبر جداً وشرير (**يقلد كليش**) « أنا ... أنا صنايعى » . كما لو كان ذلك يجعله أحسن من غيره . أنت حر فى أن تشتغل كما تشاء ، ولكن لماذا تكون فخوراً بنفسك هكذا ؟ لو كانت قيمة الشخص تتوقف على مقدار العمل الذى يعمله ، لكان الحصان أفضل من أى انسان ، فهو يشقى يوماً بعد يوم دون أن يقول كلمة . ناتاشا ، هل اهلك هنا ؟

ناتاشا : ذهبوا الى المقابر . وبعد ذلك سيذهبون الى قداس المساء .

پيل : ولذلك ليس لديك ما يشغلك الآن .

لوكا : (**يخاطب بينوف مفكراً**) تقول الصدق ؟ الصدق لا يشفى آلام الانسان فى كل الأحوال . لا تستطيع دائماً أن تعاون الروح بالصدق . اذكر مثلا شخصاً كنت أعرفه كان يؤمن بالمدينة الفاضلة .

بينوف : بماذا ؟

لوكا : بالمدينة الفاضلة . كان يقول « لابد أن تكون فى هذا العالم مدينة فاضلة . مدينة يعيش فيها ناس من نوع خاص . ناس فاضلون . يحترم

كل منهم الآخر ، ويساعده ويعاونه فى كل صغيرة وكبيرة . لابد أن يكون كل شىء فى هذه المدينة رائعاً » . وهكذا فكر فى البحث عن هذه المدينة . كان رجلا فقيراً ، وكانت حياته بائسة شاقة . وكانت أحواله تبلغ من السوء حداً يبدو له معه أن لم يبق الا أن يرقد ويموت . ولكنه لم ييأس . كان يبتسم لنفسه ويقول « لا بأس . أستطيع أن أتحمل هذا . سأنتظر فترة قصيرة أخرى وبعدها اترك هذه العيشة واذهب الى المدينة الفاضلة » . كانت تلك هى مسرته الوحيدة فى الحياة ... ايمانه بوجود المدينة الفاضلة .

پيل : وهل ذهب اليها ؟

بينوف : أين ؟ ههو !

لوكا : الى أن جاء يوم هبط فيه على القرية التى كان يعيش فيها فى سيبريا عالم واسع العلم والاطلاع كان منفياً الى سيبريا . جاء ومعه كتبه وخرائطه وكل ما يحمله رجل كهذا . فقال صاحبنا الفقير للعالم « أرجوك أن تخبرنى أين تقع المدينة الفاضلة وكيف أصل اليها» . فأخرج العالم كتبه وخرائطه وبحث ونقب ، ولكنه لم يستطع أن يهتدى الى المدينة الفاضلة فى أى مكان . كان كل شىء فى موضعه ، كل البلاد على الخرائط الا ان المدينة الفاضلة لم يكن لها وجود .

پيل : **(فى صوت هامس)** لم يكن لها وجود !

(يضحك ببنوف)

ناتاشا : لا تضحك . استمر يا جدى .

لوكا : لم يصدق الرجل . فقال للعالم « لابد أن تكون فى مكان ما . انظر جيداً . لأنه اذا لم يكن للمدينة الفاضلة وجود ، اذن فكل كتبك وخرائطك لا قيمة لها » . ويستاء العالم فيقول لصاحبنا « خرائطى هى أحسن الخرائط ، ولكن لا وجود لمكان كهذا » . ويثور صاحبنا المسكين متسائلا « ماذا تقول ؟ لقد صبرت على هذه الحياة وتحملتها كل هذه السنين لا لشىء الا لأننى كنت واثقاً من وجود مكان كهذا . واليوم تقول لى خرائطك انه مكان لا وجود له . هذا غش ! أنت شقى بائس ! أنت وغد ولست رجلا من رجال العلم » . ويتحمس صاحبنا المسكين فيناول العالم لكمة على اذنه ... طاخ ! ووراءها لكمة أخرى ... طاخ ! **(لحظة سكون)** وبعد ذلك يذهب الى بيته ثم يشنق نفسه .

(الكل صامتون . يبتسم لوكا وينظر الى پيل وناتاشا)

پيل : **(وهو يلهث)** أنت نحس ! حكايتك شؤم !

ناتاشا : عز عليه أن يكون مخدوعاً !

ببنوف : **(متجهماً)** حدوتة اخرى !

پيل : هيه ! اذن لا وجود للمدينة الفاضلة !

ناتاشا : مسكين هذا الرجل !

ببنوف : حكاية ملفقة . ههو ! مدينة فاضلة ! زينها له خياله . ههو ! **(ينسحب من النافذة)** .

لوكا : **(يومىء فى اتجاه نافذة ببنوف)** يضحك ! هىء هىء هىء ! **(سكون)** يا أصدقائى ، أتمنى لكم كل خير . سأرحل بعد قليل .

پيل : الى أين تذهب ؟

لوكا : الى أوكرانيا . سمعت عن تكوين جماعة دينية جديدة هناك وأريد أن أرى أحوالها . فالناس دائماً فى سعى ، دائماً يطلبون شيئاً أحسن . كان الله فى عونهم .

پيل : هل تظن أنهم سيجدون ما يبحثون عنه ؟

لوكا : بالتأكيد . من جدّ وجد . كل من اشتدت به الحاجة الى شىء لابد أن يحصل عليه .

ناتاشا : آه لو يفعلوا ! آه لو يفكروا فى طريقة أحسن للمعيشة !

لوكا : سيفعلون . ولكن علينا أن تساعدهم يا عزيزتى علينا أن نحترمهم لسعيهم .

ناتاشا : وكيف أساعدهم اذا كنت أنا نفسى فى حاجة الى المساعدة ؟

پيل : **(فى تصميم)** سأقولها لك مرة أخرى يا ناتاشا .

سأطلب منك مرة أخرى . هنا ، أمام هذا الرجل الذى يعرف كل شيء . تعالى معى .

ناتاشا : الى أين نذهب ؟ الى السجن ؟

پپل : قلت لك اننى سأكف عن السرقة . أقسم بالله اننى سأكف عن السرقة . أنا اذا قلت فعلت . أنا أجيد القراءة والكتابة . سأشتغل . هذا الرجل يقول اننا نستطيع الذهاب الى سيبريا باختيارنا. فهل نذهب ؟ هل تظنين اننى لا اكره هذه الحياة ؟ أوه ، ناتاشا . أنا فاهم ... أنا فاهم كل شيء . أنا اعزى نفسى واقول لها ان من يسمون بالأشراف يسرقون اكثر منى . ولكن ذلك لا يقدم ولا يؤخر. ليس هذا هو ما أريده . أنا لا آسف على شيء . ولا أومن بالضمير . شيء واحد أومن به . هو ان هذه ليست معيشة . لابد للرجل ان يعيش عيشة تجعله يحترم نفسه .

لوكا : هكذا يا بنى ! كان الله فى عونك . هو ما تقول . لابد للرجل أن يحترم نفسه !

پپل : منذ صغرى وأنا احترف اللصوصية . لم أسمع أحداً يناديني الا بقوله « ڤاسيا اللص . ڤاسيا بن اللص » . فهذا اذن هو رأيك فى ؟ هه ؟ اذن فهذا ما سأكونه . لص ! هه ؟ لعلنى لم أصبح لصاً الا لمجرد الحقد . لعلنى لم اصبح لصاً الا لأنه لم يخطر ببال أحد أن ينادينى باسم آخر . أما أنت ... أنت يا ناتاشا ؟ لو أنك ...

ناتاشا : **(حزينة)** أنا لا أصدق كل ما يقوله الناس . وانا قلقة جداً فى هذه الأيام . أحس بقلبى يغوص كما لو كان سيحدث شيء . ما كان يجب أن تثير هذا الموضوع اليوم يا ڤاسيا .

پپل : متى اذن ؟ ليست هذه أول مرة أفتح فيها هذا الموضوع .

ناتاشا : ولماذا أذهب معك ؟ فيما يتعلق بالحب ... لا أستطيع أن أقول اننى أحبك كثيراً . انت تروق لى فى بعض الأحيان . وفى أحيان أخرى لا اطيق رؤيتك . لا أظن اننى أحبك . فأنت عندما تحب شخصاً يعميك الحب عن رؤية مساوئه . ولكننى أرى مساوئك .

پپل : لا تخشى شيئاً . سأعلمك أن تحبينى . ما عليك الا أن تقولى نعم . أنا أراقبك منذ اكثر من عام . وقد رأيت أنك فتاة جادة مستقيمة . فتاة يمكن الاعتماد عليها . أنا وقعت فى غرامك يا ناتاشا .

(تظهر ڤاسيليسا فى النافذة بكامل زينتها . تقف مصغية وهى مختبئة وراء اطار النافذة)

ناتاشا : أنت وقعت فى غرامى ... وماذا عن أختى ؟

پپل : **(مرتبكاً)** وماذا عنها ؟ يوجد مثلها كثيرات .

لوكا : لا تفكرى فى هذا ياعزيزتى . اذا لم يوجد خبز ، أكلنا الحشائش .

پپل : **(مكتئباً)** أرحمى حالى . هذه ليست معيشة .

انها معيشة كلاب ، ولا لذة فيهـا . كأن الواحد يعيش فى مستنقع ، فكل ما تتشبث به يداه يتبدد لأنه عفن . أختك هذه ... كنت أظنها على خلاف هذا . لو لم تكن جشعة الى المال بهذا الشكل ، لكنت فعلت أى شيء من أجلها . لو كان حبها لى خالصاً ! ولكنها تريد شيئاً آخر ... المال . كما تريد أن تكون حرة ... حرة لتعيش على هواها . لم تكن أختك عوناً لى . أما أنت ... انت كشجرة الشربين الفتية ، تنثنى ولكن لا تنكسر .

لوكا : اقبلى نصيحتى وتزوجيه يا ابنتى . فهو شاب لا بأس به . ما عليك الا ان تذكّريه دائمـاً بأنه شاب طيب...لاتدعيه ينسى هذا . سيصدقك. قولى له وأعيدى دائماً «أنت رجل طيب ياڤاسيا ، فلا تنس هذا » . فكرى يا عزيزتى : هل امامك مخرج آخر من هذه الحياة ؟ أختك هذه قاسية خبيثة . أما زوجها .... فهو عجــوز لا تكفى الكلمات لوصف شره . وهذا شأن الحياة هنا . فما هو المخرج الآخر ؟ ثم هو شاب قوى .

ناتاشا : لا مخرج آخر لى . أعلم هذا . فكرت فى ذلك . الا أننى ... لا اصدق أحداً . ومع ذلك ، لامخرج آخر .

پپل : بل يوجد مخرج آخر . ولكننى لن أدعك تسلكين هذا السبيل . سأقتلك أولا .

ناتاشا : **(مبتسمة)** لم أصبح زوجتك بعد ، ومع ذلك فأنت على استعداد لقتلى .

پپل : **(يأخذها بين ذراعيه)** انسى هذا يا ناتاشا . هذا ما يجب أن تكون عليه حالنا .

ناتاشا : **(تتملص منـه)** هنـاك شيء لابد أن أقـوله لك يا ڤاسيا ، شيء أقسم عليه أمام الله . أول مرة ترفع فيها يدك علىَّ أو تسيء الىَّ بأى شكل آخر ، لن أبقى على نفسى . اما أن أقتل نفسى واما ...

پپل : فلتقطع يدى وتنفصل عن جسدى اذا أنا رفعتها عليك .

لوكا : لا تقلقى يا عزيزتى ، فهو فى حاجة اليك أكثر من حاجتك اليه .

ڤاسيليسا : **(من النافذة)** وهكذا تمت الخطـوبة ! من الآن فصاعداً حب واحترام وطاعة !

ناتاشا : لقد عادا ! يا ربى ! لقد رأيانا . آه ، ڤاسيا !

پپل : مم تخافين ؟ لن يجرؤ أحد على أن يمد يده اليك الآن .

ڤاسيليسا : لا تقلقى يا ناتاشا ، فلن يكون ضربه أكثر من حبه . أنا عارفة .

لوكا : **(لاهثاً)** هذه المرأة ! حية رقطاء !

ڤاسيليسا : هو يجيد الكلام المعسول .

كوستليوف : **(يدخل)** ناتاشا ! ماذا تفعلين هنا يا بليدة ؟ تلوكين سيرة الناس ؟ وتشكين أقاربك ؟ ولم تعدى الساموڤار حتى الآن ؟ لم تعدى المائدة ؟

ناتاشا : **(تخرج)** ولكنكم كنتم تنوون الذهاب الى الكنيسة .

كوستليوف : لا شأن لك بما كنا ننوى عمله . افعلى ما نطلبه منك . ما نأمرك به .

پپل : امسك لسانك . لم تعد خادمة لك بعد الآن . ناتاشا ، لا تذهبى . لا تفعلى لهم شيئاً .

ناتاشا : لا تقل لى ماذا أفعل . لم يحن وقتك بعد **(تخرج)**

پپل : **(الى كوستليوف)** دعها فى حالها . لقد ظلت تحت ارادتك بما فيه الكفاية . هى الآن لى .

كوستليوف : لك ؟ متى اشتريتها ؟ كم دفعت ؟

(ڤاسيليسا تضحك)

لوكا : اذهب من هنا يا ڤاسيا .

پپل : احترسى والا وجدت نفسك تضحكين على الجانب الآخر لوجهك .

ڤاسيليسا : حاجة مخيفة ! انا خايفة موت !

لوكا : اذهب يا ڤاسيا . الا ترى أنها تستفزك لكى تثير غضبك ؟

پپل : آه ... نعم . انها تكذب . أنت تكذبين ! لن تسير الأمور حسبما تشائين .

ڤاسيليسا : ولن تسير حسبما لا أشاء يا ڤاسيا !

پپل : **(يهز قبضته فى وجهها)** سنرى ! **(يخرج)**

ڤاسيليسا : **(تختفى من النافذة)** سأهيىء لك زفافاً مناسباً .

كوستليوف : **(يتجه الى لوكا)** ماذا تفعل هنا أيها العجوز ؟

لوكا : لا شىء أيها العجوز .

كوستليوف : يقولون انك ستتركنا ؟

لوكا : آن الأوان .

كوستليوف : الى اين تذهب ؟

لوكا : وراء انفى .

كوستليوف : هكذا حال المتشردين ! انت لا تطيق البقاء طويلا فى مكان واحد ، هه ؟

لوكا : الحركة بركة ، كما يقول المثل .

كوستليوف : ولكن لابد للرجل أن يستقر فى مكان واحد ، لا أن يعيش كالسمك فيتنقل هنا وهناك وفى كل مكان . لابد للرجل أن يتخذ له بيتاً فى مكان ما ، لا أن يكون غريباً فى كل مكان .

لوكا : واذا شعر الرجل بأنه فى بيته فى كل مكان ؟

كوستليوف : معنى هذا انه متشرد وانه مخلوق لا فائدة منه . لابد أن يكون الشخص ذا نفع ما . لابد له ان يشتغل .

لوكا : صحيح ؟ لم افكر فى هذا .

كوستليوف : نعم . لابد له . من هو الغريب ؟ الغريب هو شخص غريب ، شخص لا يشبه الآخرين . فاذا كان حاجاً ذا علم ... اى اذا كان قد تعلم أشياء ... أشياء لا يهتم احد بمعرفتها ... حتى ولو كانت هذه الأشياء هى الصدق والحق ، فالناس لا يريدون الصدق والحق فى كل الأحوال

.... فليبق لنفسه ما تعلم ! أما اذا كان حاجاً حقاً ، أمسك لسانه . فاذا تكلم لم يفهم أحد ما يتكلم عنه . كما يجب عليه الا يطلب تغيير الأوضاع . أو يتدخل فى أى شيء ، أو يضايق الناس لغير ما سبب وجيه . لا شأن له بحياة الناس وكيف يحيونها . عليه أن يعيش عيشة الزهد والتقوى . عليه أن يعيش فى كهف فى الغابة حيث لا يراه أحد . لا حق له فى أن يتدخل فى شئون الناس ، محاولا أن يبين لهم ما هو الصواب وما هو الخطأ . ولكن يجب عليه أن يدعو الله لكل واحد .... ليغفر لنا كل خطايانا الدنيوية ... خطاياك وخطاياى وخطايا كل شخص آخر . لذلك يتخلى الحاج عن مباهج هذه الدنيا ... ليتفرغ للصلاة والعبادة **(صمت)** أما أنت ... أى نوع من الحجاج أنت ؟ ليس معك جواز مرور . كل الكائنات البشرية المحترمة معها جوازات مرور...

لوكا : بعضنا بشر ، وبعضنا مجرد كائنات .

كوستليوف : لا داعى لهذه الشطارة الآن . لا داعى لهذه الألغاز . فأنا لا أقل عنك ذكاء . ماذا قلت ... بشر وكائنات ؟

لوكا : لا لغز هنا . كنت أقول ان البشر كالأرض فيها الخصبة وفيها القاحلة . ومهما يكن نوع البذور التى تبذرها فى الأرض الخصبة ، فلابد أن تثمر .

كوستليوف : وما معنى هذا ؟

لوكا : انظر الى نفسك مثلا . لو أن الخالق نفسه قال لك « يا ميخائيل ، كن بشراً » لما كان لقوله أى أثر على الاطلاق . ستظل أنت كما أنت .

كوستليوف : اسمع . ان خال زوجتى من رجال الشرطة . اذا أنا ....

ڤاسيليسا : **(تدخل)** الشاى جاهز يا ميخائيل اڤانوڤتش .

كوستليوف : **(الى لوكا)** أخرج من هنا . لا تدعنى أراك فى بيتى مرة أخرى .

ڤاسيليسا : خير لك أن ترحل أيها العجوز . لسانك طويل . من يدري أنك لست مجرماً هارباً .

كوستليوف : ارحل من هنا اليوم ، والا ...

لوكا : استدعيت خال زوجتك ؟ هيا ، استدعه . أخبره أنك قبضت على مجرم هارب . لعل الخال ينال جائزة .... ثلاثة كوپك مثلا ؟

ببنوڤ : **(عند النافذة)** هل تبيع شيئاً ؟ ما هذا الذى تبيعه بثلاثة كوپك ؟

لوكا : يهددون ببيعى .

ڤاسيليسا : **(لزوجها)** هيا بنا .

ببنوڤ : بثلاثة كوپك ؟ خذ بالك يا عجوز ! سيبيعونك بنصف كوپك .

كوستليوف : **(الى ببنوف)** اذن فقد زحفت من تحت الفرن وخرجت لنا كالغول ؟ **(يخرج مع زوجته)**

قاسيليسا : كم فى العالم من لصوص واوغاد !

لوكا : أرجو لكما شاياً هنيئاً !

قاسيليسا : (**تستدير اليه**) امسك لسانك أيها العجوز القبيح !

(تختفى مع زوجها عند ناصية الباب)

لوكا : سأرحل الليلة .

بينوف : هذا حسن . فمن الخير دائماً أن ترحل فى الوقت المناسب .

لوكا : هذا من خير ما قيل .

بينوف : أنا أعرف ما أقول . لعلنى تفاديت دخول السجن برحيلى فى الوقت المناسب .

لوكا : صحيح ؟

بينوف : نعم ، صحيح . واليك القصة : احبت زوجتى تاجر فراء . كان تاجراً بارعاً . وكان تعلق كل منهما بالآخر شديداً بحيث كان لزاماً علىّ أن أكون مفتوح العينين حتى لا يدسا لى السم ، أو يتخلصا منى بطريقة أخرى . كنت اضرب زوجتى فى بعض الأحيان فكان تاجر الفراء يضربنى . كان مقاتلا شرساً . نتف نصف لحيتى ذات مرة . وكسر لى ضلعاً مرة أخرى . ولكننى كنت أفقد اتزانى . الى أن كان يوم ضربت فيه زوجتى على رأسها بقضيب من الحديد ، ونشب بيننا قتال عنيف . الا اننى تبينت الا جدوى من مواصلة

العراك ... فهما سيتغلبان علىّ دون شك ... ولذا قررت أن أقتل زوجتى قبل أن تقتلنى . رسمت الخطة واعددت العدة ... ولكننى تمالكت نفسى فى الوقت المناسب ورحلت .

لوكا : خير ما فعلت .

بينوف : ولكن المحل كان ملكاً لزوجتى ، وهأنذا الآن كما ترانى . ولكن اقول لك الحق ، كنت سأشرب بالمحل كله . فالشرب هو الذى يجعلنى ....

لوكا : الشرب ، آه ؟

بينوف : انا سكير بشع . اذا بدات الشرب ، شربت كل شيء الا جلدى . وانا بليد . ليست لديك فكرة عن مقدار كرهى للعمل .

(يدخل ساتين والممثل يتجادلان)

ساتين : كلام فارغ ! لن تذهب . انت تعرف انك لن تذهب . انت تخدع نفسك . أيها العجوز ، ما هذا الهذيان الذى كنت تصبه فى اذن هذا الفتى ؟

الممثل : هذا كذب . يا جدى ، قل له انه يكذب . سأذهب . لقد اشتغلت اليوم ... كنست الشارع . ولم اشرب كأساً واحدة . تصور . انظر ... هذه هى الثلاثون كوبك ، وأنا فى وعيى .

ساتين : غبى ! هات النقود . سأشرب بها أنا ، أو أخسرها فى القمار .

الممثل : حاسب ! هذا جزء من ثمن تذكرة السفر .

لوكا : **(الى ساتين)** لماذا تريده أن ينحرف عن الطريق المستقيم ؟

ساتين : « خبرنى أيها الساحر ، يا صفى الآلهة ، ما هو المصير الذى يخبئه لى القدر ؟ » . أنا افلست تماماً أيها الأخ . فقدت كل ما أملك . ولكن ما زال أمام العالم أمل يا جدى . توجد أسماك قرش أشطر منى .

لوكا : أنت شاب مرح يا كونستانتين ، وحلو المعشر .

بينوف : يا ممثل ، تعال هنا .

(يتجه الممثل الى النافذة وينحنى على بينوف يحدثه فى صوت منخفض)

ساتين : كنت مسلياً فى صغرى . جميل أن استعيد ذكريات تلك الأيام . كنت شاباً فاجراً . كنت بارعاً فى الرقص . وكنت أمثل على المسرح . كنت دائماً أجعل الناس تضحك. كنت شاباً ظريفاً .

لوكا : وكيف تبدلت حالك ، هه ؟

ساتين : أنت مخلوق فضولى يا عجوز . تحب أن تعرف كل شيء . لماذا ؟

لوكا : أحب أن أفهم الطبيعة الانسانية . ولكن عندما أنظر اليك ، لا أفهم شيئاً . أنت رجل طيب يا كونستانتين ، وشاطر . ومع ذلك ...

ساتين : السجن هو الذى فعل بى ذلك يا جدى . قضيت فيه أربع سنين وسبعة أشهر . وبعد السجن لا يقبلك أحد .

لوكا : ولماذا دخلت السجن ؟

ساتين : قتلت وغداً . قتلته فى ساعة غضب وسخط . وفى السجن تعلمت لعب القمار ... واشياء أخرى .

لوكا : هل قتلته بسبب امرأة ؟

ساتين : بسبب أختى . ولكن لا تتدخل فيما لا يعنيك . فأنا لا أحب أن يسألنى أحد أسئلة كهذه . وهذا كله حدث منذ زمن بعيد . لقد ماتت أختى . منذ تسع سنوات . كانت جميلة .

لوكا : أنت تتقبل الحياه قبولا حسناً . كان يجب أن تسمع صانع الأقفال وهو يئن منذ لحظة ويصيح بأعلى صوته : آ . . . ى !

ساتين : كليش ؟

لوكا : نعم . كان يصيح : لا عمل ، ولا شيء بالمرة .

ساتين : سيتعود على ذلك بمرور الوقت . ماذا أفعل بنفسى الآن ؟

لوكا : أنظر . هذا هو .

(يدخل كليش وقد تدلت رأسه بين كتفيه)

ساتين : ايه يا أرمل ! لماذا تمشى وأنفك بين ركبتيك ؟ فيم تفكر ؟

كليش : أفكر فيما سأفعله . لم تعد عندى آلات . بعتها كلها لدفع نفقات الجنازة .

ساتين : اقبل نصيحتى ولا تفعل شيئاً . كن عبئاً على العالم .

كليش : هذا يناسبك أنت ، أما أنا فأشعر بالعار .

ساتين : تخلص من هذا الشعور . فالناس لا يشعرون بالعار عندما يرونك تعيش عيشة الكلاب . فكر . أنت تكف عن العمل ، وأنا أكف عن العمل ، مئات وآلاف آخرون يكفون عن العمل ، كل واحد يكف عن العمل . هه ؟ كلنا نكف عن العمل . لن يرفع أحد اصبعه ليفعل شيئاً . فماذا يحدث عندئذ ؟

كليش : نموت جميعاً من الجوع .

لوكا : **(الى ساتين)** يجب أن تنضم الى طائفة النساك ما دامت لك أفكار كهذه .

ساتين : وهؤلاء ليسوا أغبياء يا جدى كما قد يظن الناس .

(من نافذة مسكن كوستليوف يسمع صوت ناتاشا تصيح : « كفى . كفى . ماذا فعلت ؟ »)

لوكا : **(فى قلق)** ناتاشا ؟ هل هى التى تصرخ هكذا ؟

(من مسكن كوستليوف يسمع صوت أطباق تتحطم ، وأصوات تذمر ، وصوت كوستليوف وهو يصرخ : « يا كلبة ! يا عاهر ! »)

فاسيليسا : دعها ! انتظر ! سأريها ! خذى هذه ! وهذه !

ناتاشا : انهم يقتلوننى ! يقتلوننى !

ساتين : **(يصرخ عند النافذة)** أنتم ، هناك !

لوكا : **(مندفعاً هنا وهناك)** فاسيا ! نريد فاسيا هنا الآن . يا ربى ! أيها الناس الطيبون ! أيها الأخوة !

الممثل : **(يعدو)** سأذهب لآتى به .

ببنوف : هم لا يكفون عن ضربها .

ساتين : تعال أيها العجوز . سنكون شاهدين .

لوكا : **(يتبع ساتين)** أنا شاهد لا خير فى . لم أخلق لمثل هذا . نريد فاسيا ، ونريده بسرعة .

ناتاشا : يا أختى ! يا أختى ! آه . . . آ . . . ه !

ببنوف : لقد كمموا فمها . سأذهب لأرى .

(تموت الضجة فى مسكن كوستليوف اذ ينتقل الناس الى الردهة . يسمع صوت العجوز وهو يصيح « كفى » . باب يصفق فيكون لصفقه وقع ضربة الفاس ، فتنقطع الضجة . الصمت يسود المسرح . غسق الربيع . كليش جالس على مركبة الجليد المقلوبة ، فى حالة شرود وهو يفرك يديه فى توتر . يتمتم بكلمات غيرمفهومة تتبلور أخيراً فى قوله : « ولكن كيف ؟ لابد للانسان

ان يعـيش ، أليس كذلك ؟)) . ثم يقول فى صوت عال : ((سقف ! أريد سقفاً فوق رأسى . لا سقف لى . لا شىء عندى بالمرة ! أنا رجل وحيد ... وحيـد تمـاماً . هذا هو سر المتاعب . لا أحد يعاوننى)) . يخرج على مهل . محدودب الظهر . يرين على المسرح سـكون مخيف لبضـع ثوان . ثم يسمع صوت تذمر غامض آت من خارج المسرح ، يعلو ليصبح صوتاً مرعباً كلما اقترب . تسـمع أصوات متميزة)

ڤاسيليسا : أنا أختها ! اتركها لى !

كوستليوڤ : لا حق لك .

ڤاسيليسا : يا ربيب السجون !

ساتين : أدع ڤاسيا . أسرع . اضربه يا زوب !

(تسمع صفارة الشرطة)

التترى : **(يعـدو داخلا ، ذراعه اليمنى فى ضمـادة)** أى قانون هذا ... جريمة قتل فى وضح النهار ؟

زوب : **(يدخل ووراءه ميدڤيديڤ)** هاه ! ضربته ضربة قوية .

ميدڤيديڤ : أنت ... كيف تجرؤ على مقاتلة الناس ؟

التترى : وانت ، ما هو واجبك ؟

ميدڤيديڤ : **(يجرى وراء التترى)** قف . أعطنى صفارتى .

كوستليوڤ : **(داخلا يعدو)** أبرام اقبض عليه ! لقد قتل ....

(من وراء الناصية تدخل كڤاشنيا وناستيا تسندان بينهما ناتاشا وقد تشعث شعرها . يمشى ساتين بظهره وهو يدفع ڤاسيليسا التى تحـاول الامساك باختها. اليوشكا ينط حولها كالعفريت ، وهو يصـفر فى أذنها ، ويصيح ، ويزمجر . تدخل فى اثرهم مجموعة صغيرة من الغوغاء)

ساتين : **(الى ڤاسيليسا)** ماذا تفعلين يا قذرة ؟

ڤاسيليسا : ارحل يا **ربيب السجون** ! سأمزقها اربا ولو كلفنى ذلك حياتى !

كڤاشنيا : **(تأخذ ناتاشـا بعيـداً)** كفى يا ڤاسيليسا ! الا تشعرين بالعار ؟ أنت تتصرفين كالوحش .

ميدڤيديڤ : **(يقبض على ساتين)** قبضت عليك أخيراً .

ساتين : اهرب يا زوب . ڤاسيا ! ڤاسيا !

(يتجمعون بالقرب من الممر بين سور الطوب والبيت . بينما تكون ناتاشا قد اقتيـدت لتجـلس فوق كومة الأخشـاب الى اليمين)

پيل : **(يدخل فجاة من الممر ، وفى سكون ينحنى كل شخص جانباً فى حركات قوية عنيفة)** اين ناتاشا ؟ أنت ...

كوستليوف : **(يختفى خلف البيت)** أبرام ، امسك ڤاسيا . يا اخوانى ، ساعدوه ليقبض على ڤاسيا . لص ! حرامى !

پيل : أيها الفاسق العجوز !

(بحركة قوية من ذراعه يضرب پيل العجوز كوستليوف فيسقط بحيث لاترى الا راسه وكتفاه منخلف ناصية البيت . يندفع پيل نحو ناتاشا)

ڤاسيليسا : اضربوا ڤاسيا يا جماعة ! اضربوا اللص !

ميدڤيديف : **(يصيح فى وجه ساتين)** ابعد عن هذا . هذه مسألة عائلية . كلهم أقارب . لا محل لك هنا .

پيل : ما هذا ؟ ماذا فعلت ؟ هل ضربتك بخنجر ؟

كڤاشنيا : أنظر ما فعل هؤلاء الوحوش ! حرقوا رجليها بماء مغلى .

ناستيا : قلبوا السامو ڤار عليها .

التترى : لعل تلك كانت حادثة غير مقصودة . لابد ان نتأكد . يجب الا نخطىء الحكم .

ناتاشا : **(تكاد يغمى عليها)** ڤاسيا . خذنى بعيداً . خبئنى .

ڤاسيليسا : يا الهى ! انظروا ! مات ! قتل !

(يسرع الجميع الى الممر حيث يرقد كوستليوف . ينفصل بينوف عن الجمع ويذهب الى ڤاسيا پيل)

بينوف : **(فى صوت منخفض)** ڤاسيا ! الرجل العجوز ... انتهى !

پيل : **(ينظر اليه وهو لا يفهم)** أدع الاسعاف ! لابد أن نأخذها الى المستشفى . سأسوى حسابى معهم .

بينوف : اقول لك ان شخصاً ما قتل الرجل العجوز .

(تهدأ الضجة فوق المسرح كنار ينصب فوقها فيضان من الماء . تسمع ملاحظات متفرقة فى اصوات مكتومة . « صحيح ؟ » . « هنا محزن » . « لنبتعد عن هنا » . « حاسب » « لنهرب قبل ان تاتى الشرطة » . يتضاءل عددهم . يندفع بينوف والتترى وناستيا وكڤاشنيا الى جثمان كوستليوف)

ڤاسيليسا : **(تنهض من على الأرض وتصيح فى انتصار)** لقد قتل ! هذا هو الرجل الذى قتل زوجى . ڤاسيا ! لقد رأيت ذلك بنفسى . رأيته يا جماعة ! ڤاسيا ؟ سيأتى الشرطة فى طلبك . هه ؟

پيل : **(يترك جانب ناتاشا)** دعـونى أمر . ابعـدوا عن طريقى **(يلقى نظرة على الرجل العجوز ثم يلتفت الى ڤاسيليسا)** مات ! السافل ! اذن فقد تحقق لك ما أردت ! مممم ! فلأقتلك انت أيضاً ! **(يلقى بنفسه عليها . ولـكن ساتين وزوب يسـارعان باعتراض طريقه . تجرى ڤاسيليسا الى الممر)** .

ساتين : فكر فيما تفعل !

زوب : على مهلك !

ڤاسيليسا : **(تظهر ثانية)** لا مفر لك من مصيرك يا صـديقى ڤاسيا ! الشرطة ! ابرام ، انفخ فى صفارتك .

ميدڤيديف : هؤلاء الشياطين ، خطفوا صفارتى .

اليوشكا : هـذه هى **(ينفخ فى الصـفارة فيجـرى نحـوه ميدڤيديف)** .

ساتين : **(يقود پيل الى ناتاشـا)** لا تشـغل بالك كثيراً يا ڤاسيا . انت قتلته فى معركة . هذا لا شىء . لن يكلفك غاليا .

ڤاسيليسا : امسكوا ڤاسيا . هو الذى قتله . انا رايته يقتله .

ساتين : انا نفسى ضربته ثلاث أو اربع مـرات . لم يكن القضاء عليه يحتاج الى مجهـود كبير . ساكون شاهداً يا ڤاسيا .

پيل : لا اريد ان اتملص من الجريمة . اريد أن اجـر ڤاسيليسا فيها . وسأجرها ، بعون الله . هـذا

هو ما كانت تريده . لقد اغرتنى على أن اقتـل زوجها . اغرتنى بذلك .

ناتاشا : **(فجاة بصوت عال)** آه ! . . . فهمت الآن . هذا هو السر اذن يا ڤاسيا . ما اطيبكما ! لقد فعلتما ذلك معاً ! دبرتما الأمر معاً . لذلك كنت تتحدث معى الليـلة ؟ لكى تسمع هى ؟ ما اطيبكما ! هى عشيقتك . كلهم يعـرفون ذلك . هى . . . هى اغرته بقتل زوجها . كان يقف فى طريقهما . وانا كنت اقف فى طريقهما . ولذلك جعلونى كسيحة .

پيل : ناتاشا ! ما هذا الذى تقولين ؟

ساتين : مسكين !

ڤاسيليسا : كذابة ! انها تكذب ! . . . هو القاتل ! ڤاسيا هو الذى قتله .

ناتاشا : قتلاه معاً ! عليكما اللعنة ! انتما معاً !

ساتين : هذه مكيدة . احذر يا ڤاسيا . سيضعان الحبل حول عنقك قبل أن تدرى .

زوب : لا استطيع أن افهم شيئاً .

پيل : ناتاشا ! هل انت حقاً . . . ؟ هـل انت جادة ؟ كيف يمكن أن تظنى أننى . . . انا . . . معها . . .

ساتين : فكرى فيما تقولين يا ناتاشا .

ڤاسيليسا : **(عند الممر)** قتلوا زوجى يا سيدى . ڤاسيا پيل ، اللص ، هو الذى قتله . انا رايته ياسيادة المفتش. كلهم رأوه .

ناتاشا : **(تترنح فى المكان فى شبه غيبوبة)** أختى وڤاسيا پيل هما اللذان قتلاه . استمع . استمع الى يا سيادة المفتش . أختى ... هى التى رسمت له الخطة . هى التى أغرته بذلك . هو عشيقها . هذا هو ، ملعون النفس . قتلاه . خذهما معاً . خذهما الى السجن . وخذنى ايضاً . ضعنى فى السجن . محبة فى المسيح ، ضعنى فى السجن .

ستار

الفصل الرابع

(المنظر هو المنظر الأول نفسه ، فيما عدا اختفاء الحاجز الذى كان يكوّن غرفة پپل ، وسندان كليش . التترى يتقلب ويتوجع فوق مصطبة فى الركن الذى كان من قبل غرفة پپل . يجلس كليش الى المائدة يصلح آلة أكورديون ، وهو يجرب المفاتيح من آن لآخر . عند الطرف الآخر من المائدة يجلس ساتين والبارون وناستيا . أمامهم زجاجة فودكا وثلاث زجاجات بيرة وبعض الخبز الأسود . الممثل يروح ويجىء وهو يسعل فوق الفرن . الوقت ليل . يضىء المسرح مصباح موضوع فى وسط المائدة . الريح تعصف فى الخارج) .

كليش : اختفى وسط الزحام والضجيج !

البارون : تخلص من الشرطة كما يتخلص النار من الدخان !

ساتين : أو الخبيث من الطيب .

ناستيا : كان عجوزاً طيباً . أما أنتم ... أنتم لستم بشراً . أنتم حثالة !

البارون : **(وهو يشرب)** فى صحتك يا سيدتى الجميلة .

ساتين : كان غريب الشأن . هذه ناستيا ، لقد وقعت فى غرامه .

ناستيا : نعم . وقعت فى غرامه . هذا حق . كان يرى كل شىء ويفهم كل شىء .

ساتين : **(ضاحكاً)** كان كالشريد للأهتم .

البارون : **(ضاحكاً)** أو كالشريط اللاصق على الدمامل .

كليش : كان شفوقاً ... أما أنتم ... أنتم لا تعرفون ما هى الشفقة !

ساتين : ما هو الخير الذى يعود عليك من شفقتى ؟

كليش : أنا لا أقصدك . فأنت لا تشفق على الناس ولكنك على الأقل تبقى على مشاعرهم .

التترى : **(يجلس على احدى المصاطب ويهدهد ذراعه المتورمة كما لو كانت طفلا)** كان عجوزاً طيباً . كان يعرف شريعة الروح . ومن يعرف شريعة الروح فهو طيب . أما من لا يعرفها ... فهو لا يعرف نفسه .

البارون : أية شريعة يا حسن ؟

التترى : هذه شريعة مختلفة . أنت تعرف ما أعنى .

البارون : ثم ماذا ؟

التترى : لا تؤذ الناس . هذه شريعة .

ساتين : هذا اسمه « قانون العقوبات للمجرمين والكفرة » .

البارون : وهناك « لائحة العقوبات التى يفرضها قضاة محاكم الصلح » .

التترى : القرآن شريعة . وقرآنكم هو الآخر شريعة . لابد أن يكون لكل نفس قرآن . نعم !

كليش : **(يحاول عزف الأكورديون)** أعزف عليك اللعنة ! ما يقوله التترى صحيح . لابد للناس أن يعيشوا وفقاً للقانون . وفقاً للانجيل .

ساتين : ولماذا لا تفعل أنت ؟

البارون : حاول .

التترى : محمد أبلغنا القرآن وقال : هذه هى الشريعة ! افعلوا ما تأمركم به . ثم جاء وقت ... لم يكن فيه القرآن كافياً . عصر جديد ... قانون جديد . كل عصر جديد بقانون جديد .

ساتين : أنت على حق . اليوم جاء وقت «قانون العقوبات» . قانون جيد صارم . سأستغرق وقتاً طويلا فى استهلاك هذا القانون .

ناستيا : **(تضرب المائدة بالزجاجة)** لماذا ... لماذا أستمر فى الحياة هنا معكم جميعاً ؟ سأرحل ... الى أى مكان ... الى أقصى الأرض .

البارون : حافية القدمين يا سيدتى الجميلة ؟

ناستيا : عارية ! زاحفة على أربع !

البارون : منظر رائع يا سيدتى الجميلة . تصوروا هذا ! على أربع !

ناستيا : نعم ، سأرحل . سأذهب الى أى مكان حتى أبتعد عن وجوهكم . لو عرفتم كم سئمت كل شىء ! كل شخص وكل شىء .

ساتين : خذى الممثل معك عندما ترحلين . فهو يفكر فى القيام برحلة كهذه . لقد اكتشف أنه على بعد نصف ميل من أقصى الأرض يوجد مستشفى لمن تسممت منسوجات جسمه .

الممثل : (يطل برأسه فوق حافة المصطبة من على الفرن) أنسجة جسمه يا مغفل !

ساتين : لمن تسمم نسيج جسمه بالكحول .

الممثل : سيرحل . اطمئنوا . سيرحل . سترون .

البارون : من هو يا سيدى ؟

الممثل : أنا !

البارون : شكراً يا خادم ربة الـ ... ما اسمها ؟ ربة الدراما ، المأساة ، ما اسمها ؟

الممثل : عروس يا أبله . ليست ربة بل عروساً !

ساتين : لاخيسيس ؟ هيرا ؟ أفروديت ؟ اتروبوس ؟ الشيطان وحده يعرف اسمها . كل هذا من فعل ذلك العجوز يا بارون . هو الذى بث القلق والحيرة فى نفس الممثل .

البارون : هذا العجوز مهووس .

الممثل : يا جهلة ! يا همج ! عروس التراجيديا يا هى « ميلبومينيه » ! أوه ، هو راحل ، ما فى ذلك شك . أنتم مخلوقات لا قلب لها . « كلى بعضك أيتها العقول المغلقة » . هذا من شعر «بيرانجيه» . سيجد مكاناً لنفسه حيث لا ... لا ...

البارون : لا شيء يا سيدى .

الممثل : نعم ، هذا هو . لا شيء . « هذا الجحر المتثائب سيكون قبرى . هذا الاطار الضائع لا تستطيع يد أن تنقذه » . وما الذى يجعلكم تواصلون الحياة ؟ لماذا ؟ لماذا ؟

البارون : هيه ... أنت أيها الممثل العبقرى . كف عن الصياح .

الممثل : سأصيح كما يحلو لى .

ناستيا : (ترفع رأسها من على المائدة وتطوح يديها) استمر فى الصياح ، حتى يستمعوا اليك .

البارون : وما فائدة ذلك يا سيدتى الجميلة ؟

ساتين : دعهم فى حالهم يا بارون . فليذهبوا الى جهنم ! دعهم يصيحون . ستنفلق ادمغتهم . المهم هو الا تتدخل فى شئون الناس كما قال العجوز . انه هو الذى دخل هنا كالخميرة فاختمرت هذه الأفكار فى عقول زملائنا فى السكن .

كليش : لقد أوهمهم بوجود اماكن رائعة ، ثم تسلل راحلا دون أن يدلهم على الطريق اليها .

البارون : ذلك العجوز كان مزيفاً .

ناستيا : أنت نفسك مزيف .

البارون : اخرسى يا سيدتى الجميلة !

كليش : اما عن الحق ، فلم يكن العجوز يعرفه . كان يضمر

أشد العداء للحق ، وكان حرياً به أن يكون كذلك . فأنت اذا فكرت فى الأمر ما وجـدت ما يدعو الى الحديث عن الحق . فالحياة شاقة بما فيه الكفاية بدون الحق . خذ هذا التترى مثلا ... لقد كسر ذراعه فى العمل ... ولابد الآن من بترها . هذا هو الحق الذى تتحدثون عنه .

ساتين : **(يضرب المائدة بيده)** اسكتوا ! يا بهائم ! يا اغبياء ! كفاكم حديثاً عن العجوز ! **(بهدوء)** وأنت يا بارون اسواهم . أنت لا تفهم شيئاً . وأنت تكذب . لم يكن العجوز مزيفـاً . ما هو الحق ؟ الانسان ! هذا هو الحق . كان يعـرف ذلك ، اما أنت فلا تعرفه . عقولكم كالطوب . أنا أفهمه . طبعاً كان يكذب ، ولكنه كان يكذب شـفقة بكم يا اخـوة الشـيطان . كثير من النـاس يكذبون شـفقة باخوانهم . أعرف هذا . لقد قرأت كثيراً من الكتب . وهى تكذب كذباً رائعا مصـدره الوحى ، فتثير نفوسكم . ومن الكذب ما يبعث فى النفس العزاء ، ما يجعل الانسان يقنع بنصيبه فى الحياة . الكذب يبحث عن عذر لكسر ذراع العامل . الكذب يلوم الرجل على موته جوعاً . أنا أعرف كذبكم . ذوو القلوب الضـعيفة أو من يعيشـون على حساب غيرهم هم وحدهم الذين يحتاجون الى الكذب .

بعض الناس يعيشـون على الـكذب ، وبعضهم يختفى وراءه . اما الرجل الذى يتولى أمر نفسه ... الرجل الذى يعتمد على نفسه والذى لايمتص دماء الآخرين ... ما حاجته الى الكذب ؟ الكذب دين الأرقاء والرؤساء . أما الصدق فهو اله الرجل الحر !

البارون : براڤو ! احسنت ! اوافق على كل ما قلت . انت تتكلم ك ... كجنتلمان محترم .

ساتين : ولماذا لا يتكلم الغشاش احياناً كجنتلمان محترم مادام الجنتلمان المحترم يتكلم غالباً كالغشاش . لقـد نسـيت الثير ولكننى ما زلت أتذكر بعض الأمور . ذلك الرجل العجـوز كان ذكياً . كان يعاملنى كما لو كان هو حمضاً وانا عملة قديمة قذرة . فلنشرب نخب صحته ! املئى كأسى .

تملأ ناستيا كأس ساتين بالبيرة

ثم تناولها له)

ساتين : **(بعد ضحكة قصيرة)** ذلك العجوز يعيش بذكائه . يرى كل شىء بعينيه النفاذتين . اذكر اننى سألته يوماً « قل لى يا جدى : لماذا يعيش الناس ؟ » **(يقلد صوت لوكا وحـركاته)** « يعيشـون لكى يجعلوا الحياة أفضل مما هى عليه يا صـديقى . لنفرض مثلا ان لدينا عـدداً من النجارين ...

حثالة ... كلهم . ثم ولد لهم من بينهم نجار لم تشهد له الأرض أبداً مثيلا . نوره يحجب أنوار الآخرين ، ولا يستطيع أحدهم أن يمسك له حتى بشمعة . هذا النجار لابد أن يترك أثره فى كل عمل يقوم به من اعمال النجارة حتى ان مهنة النجارة تتقدم الى الأمام عشرين عاماً دفعة واحدة . وكذلك الحال مع جميع أصحاب المهن الأخرى : سمكرية ، واسكافية ، وكل العمال ، وكل الفلاحين أيضاً ... بل حتى السادة . كلهم يعيشون ليجعلوا الحياة أفضل مما هى عليه . وكل واحد منهم يظن انه انما يعيش لنفسه ، بينما الواقع انه يعيش لكى يجعل الحياة أفضل . يعيشون مائة عام ، وقد يعيشون أطول ، وكل ذلك لكى يجعلوا الحياة أفضل » .

(تمعن ناستيا البصر فى ساتين . كليش هو الآخر يتوقف عن العمل فى الأكورديون ويصغى . تسقط رأس البارون الى صدره وينقر بأصابعه على المائدة برقة . ينزل الممثل بهدوء من فوق الفرن الى احدى المصاطب)

ساتين : « كلهم يا صديقى الطيب ، الى آخر واحد منهم ، يعيشون ليجعلوا الحياة أفضل » . هكذا يقول

العجوز . « يجب ان يحترم كل منا مشاعر الآخر . فليس لنا ان نعرف من يكون هذا الشخص ، ولماذا ولد ، وماذا يستطيع أن يفعل . لعله ولد لما فيه خيرنا ، ليكون عوناً كبيراً لنا . والأطفال بوجه خاص هم الذين يجب ان يظفروا باحترامنا ... الصغار . فهم يريدون الحرية .. الصغار . يجب الا نعترض طريقهم . يجب ان نفهمهم ونحترم مشاعرهم » .

(يضحك ضحكاً رقيقاً)

(صمت)

البارون : **(مستغرقاً فى التأمل)** ممم ! ليجعلوا الحياة أفضل ! هذا يذكرنى بأسرتى ... أسرة عريقة ... يرجع تاريخها الى عهد الامبراطورة كاترين . نبلاء محاربون . جاءوا من فرنسا . خدموا القيصر وظل نجمهم دائماً فى صعود . فى عهد القيصر نقولا الأول كان جدى جوستاف ديبيل يشغل منصباً رفيعاً . ثروة ، مئات من العبيد ، جياد ، خدم ، ...

ناستيا : كذاب ! كل هذا كذب !

البارون : **(يقفز)** ماذا ؟

ناستيا : كل هذا فشر !

البارون : **(صائحاً)** قصر فى موسكو ! قصر فى بطرسبرج ! عربات تحمل شعار أسرتنا !

(يتنـاول كليش الأكورديون وينتحى جانباً يشرف منه على المنظر)

ناستيا : كلام فارغ !

البارون : اخرسى . دستة من الخدم .

ناستيا : **(مسرورة)** فشار !

البارون : سأقتلك !

ناستيا : **(توشك أن تهرب)** لم تكن لديك عربة أبداً !

ساتين : كفى يا ناستيا . لا تجعليه يجن .

البارون : انتظرى يا قذرة . كان جدى ...

ناستيا : ما كان لك جد أبداً ! ما كان لك شيء بالمرة !

(ساتين يضحك)

البارون : **(يغـوص فوق دكة وقد أنهكه الغضب)** قل لها يا ســاتين ... قل لهذه الـكلبة ... أم هـل تضحك أنت الآخـر ؟ أنت أيضاً لا تصـدق ؟ **(يصيح فى يأس وهو يدق المـائده بقبضـتيه)** كل ما قلته صحيح ! عليكم لعنة الله !

ناستيا : **(مزهوة)** آها ! أنت الآن تنبح ! هه ! هل علمت الآن انه شيء يبعث على الغيظ اذا لم تجـد من يصدقك ؟

كليش : **(يعود الى المائدة)** كنت واثقاً من نشوب قتال .

التترى : ناس أغبياء ! شيء محزن !

البارون : انا ... انا لا أقبل أن يســخر منى الناس . انا عندى ... أستطيع أن ابرهن على ذلك . معى وثائق أيها الشياطين !

ساتين : انسها . وانس كل شيء عن عربات جدك . فلن تجديك شيئاً هذه العربات التى أصبحت فى خبر كان .

البارون : كيف تجرؤ هذه المراة ؟

ناستيا : **(مستهزئة)** هل سمعتم هذا ؟ كيف تجرؤ هذه المراة ؟

ساتين : ولماذا لا تجرؤ ؟ لماذا تكون هى احط منك ؟ حتى ولم يكن لديها عـربات أبداً فى يوم من الأيام ، ولا جدود ، بل حتى لا أب ولا أم ؟

البارون : **(وقد هدأ قليلا)** فلتذهب الى الشيطان ! انت دائماً تأخذ الأمور بهدوء . انا رجل لا اخلاق له .

ساتين : اذن فاحصل على اخلاق . هذه مســألة سهلة **(صمت)** ناستيا ، هل تذهبين الى المستشفى ؟

ناستيا : لماذا ؟

ساتين : لترى ناتاشا .

ناستيا : انت متأخر . لقد غادرت المستشفى منـذ زمن طويل . غادرته واختفت . ذهبت دون أن تترك أثراً .

ساتين : معنى ذلك ... أن كلهم ذهبوا .

كليش : يا ترى من الذى سيكون أشد فى الكيل للآخر : ڤاسيا أم ڤاسيليسا ؟

ناستيا : ڤاسيليسا ستتخلص بطريقة ما . انها ماكرة ،

ولكنهم سيرسلون ڤاسيا الى الأشغال الشاقة فى سيبيريا .

ساتين : لا ، سيسجن لارتكابه جريمة قتل أثناء مشاجرة.

ناستيا : مسكين ! يجب ان يبعدوه ... ان يبعدوكم جميعاً . أن يكنسوكم كالزبالة . ان يلقوا بكم فى مستودع القمامة .

ساتين : **(مندهشاً)** ماذا تقولين ؟ هل فقدت عقلك ؟

البارون : سأقرص اذنها .

ناستيا : هيا حاول . المسنى .

البارون : سأحاول .

ساتين : لا. لا تلمسها . يجب الا تؤذى الناس . لااستطيع ان ابعد العجوز من بالى **(يضحك)** يجب الا تؤذى الناس . طيب ، واذا آذونى هم ... آذونى أذى شديداً لا أبرأ منه؟ ماذا افعل عندئذ ؟ هل المفروض ان أسامحه ؟ أبداً . لا أسامح أحداً .

البارون : **(الى ناستيا)** لا تنسى انك لست من طبقتى . انت .... أنت حثالة الأرض .

ناستيا : أوه ، أنت قملة ! انت تعيش عالة علىَّ كما تعيش الدودة على التفاحة .

(ينفجر الرجال ضاحكين)

كليش : آه يا مغفلة ! تفاحة !

البارون : كيف يستطيع احد ان يغضب منها ؟ انها بلهاء .

ناستيا : تضحك ، هه ؟ تغش نفسك ! أنت لا تعتقد أن هذه مسألة مضحكة .

الممثل : **(مكتئباً)** ناوليهم !

ناستيا : آه لو كان فى استطاعتى ! اذن لـ ... لـ ... **(تتناول كأساً وتحطمها على الأرض)** لكان هذا ما أفعله بك .

التترى : ولماذا تحطمين الأطباق ؟ امراة شريرة !

البارون : **(يقف)** الآن سأعلمها بعض الأخلاق .

ناستيا : **(تعدو الى الباب)** اذهب الى الجحيم .

ساتين : **(يناديها)** كفاية ! من تخيفين ؟ علام هذا كله ؟

ناستيا : ذئاب ! أطلب من الله ان تختنقوا ! ذئاب !

الممثل : **(مكتئباً)** آمين !

التترى : أ ... وه . امراة شريرة ... روسية ! عصبية ! امراة على كيفها ! المراة التترية لا تفعل هذا . المراة التترية تعرف القانون .

كليش : هى تريد علقة حامية .

البارون : القذرة !

كليش : **(يجرب الأكورديون)** تم اصلاحه . ولكن صاحبه لا يأتى ليتسلمه .

ساتين : خذ كأساً .

كليش : شكراً . حان وقت النوم .

ساتين : هل تعودت علينا ؟

كليشى : **(يشرب ، ثم يتجه الى أحدى المصاطب فى ركن الغرفة)** أظن هذا . سرعان ما يتضح أن البشر موجودون فى كل مكان . ذلك أمر لا تلحظه فى البداية ، فاذا ألقيت نظرة أخرى اذا بك تجدهم .. بشراً .

(يبسط التنترى قطعة قماش فوق مصطبته ، ثم يبدأ فى الصلاة)

البارون : **(يشير الى التنترى ويخاطب ساتين)** انظر الى هذا .

ساتين : اتركه فى حاله . هو رجل طيب . لا تزعجه **(يضحك)** لماذا انا طيب القلب اليوم ؟

البارون : انت دائماً تكون طيب القلب عندما تشرب ... وتكون بارعاً أيضاً .

ساتين : عندما اكون سكران يبدو لى كل شىء فى لون الورد . هو يصلى ؟ حسن . من حق الشخص أن يكون مؤمناً او لا يكون ، حسبما يشاء . هذا شأنه . كل شخص حر فى اختياره . هو يدفع الثمن بنفسه : ثمن الايمان ، وعدم الايمان ، والحب ، والذكاء . كل شخص يدفع ثمن كل شىء بنفسه ، ولذلك فهو حر . أيها الانسان... هذا هو الحق ! ما الانسان ؟ لا أنت ، ولا انا ، ولا هو . لا . بل أنت وانا وهو والرجل العجوز ونابليون ومحمد ...

كلهم فى واحد ! **(يرسم شخص رجل فى الهواء)** هل فهمت ؟ هذا أمر جلل ! هذه حقيقة تتضمن كل البدايات وكل النهايات . كل الأشياء جزء من الانسان . كل الأشياء من أجل الانسان . الانسان هو وحده الكائن . وكل ما عداه هو من صنع يديه وعقله . ما أروع الانسان ! ما أشد ما فى رنين هذه الكلمة من كبرياء ... الانسان ! لابد ان يكون الانسان موضع احترام لا موضع شفقة . فالشفقة مهينة . لابد أن يكون محترماً **(يا بارون)** لنشرب نخب الانسان ! **(يقف)** ما أطيب أن يشعر الشخص بأنه انسان ! هأنذا .. مجرم سابق ، قاتل، غشاش، لاعب قمار .. الى آخره . عندما امشى فى الشارع يظن الناس اننى لص . فينتحون جانباً ويختلسون النظرات الىّ . وغالباً ما يقولون لى يا وغد ، يا مزيف ! يقولون لى « اشتغل » . أشتغل ؟ لماذا ؟ لأملأ معدتى ؟ **(يضحك)** انا دائماً أمقت هؤلاء الذين يفكرون كثيراً فى معداتهم . ليست المعدة هى كل شىء يا بارون . أبداً . الانسان أسمى من ذلك . الانسان أسمى من معدته .

البارون : **(يهز رأسه)** براعة منك أن تجهر بهذه الأفكار . لابد أن ذلك يبعث الدفء فى قلبك . أما انا ...

فلا أستطيع . لا أدرى كيف **(يتلفت حوله ويتكلم وهو يلهث)** أشعر بالخوف فى بعض الأحيان . فاهم ؟ بالخوف . أظل أقول لنفسى ... ماذا سيحدث بعد ذلك ؟

ساتين : **(يذرع الغرفة)** كلام فارغ ! ما الذى يخشاه الانسان ؟

البارون : منذ أن بدأت ذاكرتى تعى ، وأنا أذكر أن رأسى يخيم فيها نوع من الضباب . لم أكن أستطيع أن أفهم شيئاً أبدا . أنا ... هذا غريب ، ولكن ... يبدو لى أن كل ما أفعله هو أن أغير ملابسى طول حياتى . لماذا ؟ لا أستطيع أن أعرف . أولا ، كنت تلميذاً ، فكنت أرتدى الزى الخاص بأبناء النبلاء . ماذا علمونى ؟ لا أتذكر . ثم تزوجت . ارتديت بدلة سهرة ثم الروب . ولكن الزوجة التى اخترتها كانت شريرة . لماذا تزوجتها ؟ لا أتذكر . ثم بددت كل ثروتى ... لبست چاكتة رمادية وبنطلوناً باهتاً . كيف فقدت كل شىء ؟ لا أتذكر . واشتغلت فى الحكومة . زى رسمى من جديد ، وقبعة عليها الشارة الحكومية . واختلست أموال الحكومة فلبست ملابس السجن . وبعد ذلك لبست هذه الخرق . هذا كل ما فى الأمر . كالحلم ، هه ؟ بل هى حتى مسألة مضحكة .

ساتين : ليست مضحكة جداً . بل هى سخيفة أكثر منها مضحكة .

البارون : هى كذلك . أنا أيضاً أظنها سخيفة . مهما تكن الحال ، فلابد أن أكون قد وُلدت لغرض .

ساتين : **(فى ضحكة قصيرة)** لابد . « يولد الانسان ليجعل الحياة أفضل » **(يومىء برأسه)** كلام طيب .

البارون : هذه الملعونة ناستيا ! الى أين هربت ؟ سأذهب لأرى . مهما تكن الحال ، فهى ... **(يخرج . صمت)**

الممثل : يا تترى ! **(صمت)** يا حسن !

(يدير التترى رأسه)

الممثل : أدع لى .

التترى : ماذا ؟

الممثل : **(فى رجاء)** ادع لى .

التترى : **(بعد صمت)** ادع أنت لنفسك .

الممثل : **(يهبط بسرعة من فوق الفرن ، ويتجه نحو المائدة ، ويصب لنفسه كاساً من الفودكا بيدين مرتعشتين . ثم يبتلع الكاس ويخرج الى الردهة وهو يكاد يجرى)** أنا راحل !

ساتين : هيه ... أنت ! يا ممثل العصر ! الى أين تذهب ؟

(صفير . يدخل بينوف وميدفيديف . الأخير يرتدى چاكتة نسائية مبطنة بالقطن . كلاهما فى حالة سكر خفيف . يحمل بينوف فى احدى يديه خيطاً به

سميط جاف ، وفى اليد الأخرى سمكتان مدخنتان . تحت ابطه زجاجة فودكا ، بينما تبرز زجاجة أخرى من جيب معطفه)

ميدفيديف : الجمل شبيه بالحمار ، الا أنه بدون أذنين .

بينوف : أنت نفسك شبيه بالحمار .

ميدفيديف : الجمل لا آذان له أبداً . فهو يسمع بأنفه .

بينوف : **(الى ساتين)** انت هنا يا صديقى . لقد بحثت عنك فى البارات . خذ هذه الزجاجة . كل أيادىّ مشغولة .

ساتين : ضع هذا السميط على المائدة حتى تخلو احدى يديك .

بينوف : صحيح ! أنظر اليه . نبيه ، نبيه ، هه ؟

ميدفيديف : كل الغشاشين يمتازون بالنباهة . لا يمكن أن يعيشوا اذا لم يكونوا كذلك . يستطيع الرجل الطيب أن يكون غبياً ، أما الشرير فلابد أن يكون نبيهاً . ولكن اسمع ... كل ما قلته عن الجمل خطأ . الجمل دابة من دواب الحمل . لا قرون له ، ولا أسنان ...

بينوف : أين الناس ؟ لماذا لا أرى أحداً هنا ؟ هيه ... اظهروا . أنا الذى سأحتفل بكم . من هذا الذى فى الركن ؟

ساتين : كم من الزمن سيمضى قبل ان تصرف فى الخمر آخر كوپك ، انت يا خيال المآتة ؟

بينوف : زمن غير طويل . فان ما ادخرته فى هذه المرة ليس كثيراً . زوب ! أين زوب ؟

كليش : **(يأتى الى المائدة)** رحل .

بينوف : جررررر ! انت ياكلب ! هاو ! هاو ! لا نباح . اشرب يا غبى . لا تقف هكذا معلق الراس . سأحتفل بكم الليلة . كم احب هذا ! لو كنت غنياً ، لفتحت باراً وقدمت المشروبات مجاناً . اقسم لكم بالله ! مع الموسيقى والغناء . ولكنت دعوت الجميع للأكل والشرب والاستمتاع بالموسيقى حتى تطمئن نفوسكم وتهدأ . لا نقود معكم ؟ اذن فاليكم البار المجانى . أما أنت يا ساتين ... كنت اعطيك فوق كل هذا نصف ما معى من نقود . هذا ما كنت أفعله .

ساتين : بل اعطنى نقودك كلها ... الآن ... فى هذه اللحظة .

بينوف : كل ما معى ؟ فى هذه اللحظة ! هاه ! هذه هى ... روبل ... اثنان ... عشرون كوپك ...

ساتين : كفاية . انها معى فى أمان . سأقامر بها .

ميدفيديف : انا شاهد على أنه اخذ هذا المال لحفظه وديعة . كم ؟

بينوف : انت ؟ انت جمل . لسنا فى حاجة الى شهود .

اليوشكا : **(يدخل حافى القدمين)** يا جماعة . قدماى مبلولتان .

بينوف : تعال . بل زورك . هذا كل ما انت فى حاجة اليه . غناؤك وعزفك لابأس بهما يا عزيزى . أما شربك ... فهذا به بأس . هذا مضر يا أخى . الشرب مضر .

اليوشكا : انت قدوة طيبة . فأنت لاتبدو أبداً انساناً الا عندما تكون سكران . كليش ! هل الأكورديون جاهز ؟

(يغنى ويرقص)

لو كان وشى وحش
زى وش القملة
ما كانت حبيبتى
حبتنى ولا ليلة .

. انا بردان يا اخوانى . انا أتجمد .

ميدفيديف : هل تسمح لى ان أسألك اين حبيبتك ؟

بينوف : دعه وحده . كن فى حالك انت . انت لست الآن شرطياً ، لا شرطياً ولا خالا .

اليوشكا : انما انت زوج الخالة .

بينوف : احدى بنات اختك فى السجن ، والأخرى تحتضر .

ميدفيديف : هذا كذب . انها لا تحتضر . كل ما حدث انها اختفت .

(يضحك ساتين)

بينوف : وما الفرق ؟ اذا فقدت ابنتى اختك لم تعد خالا .

اليوشكا : **(يغنى)** .

الست معاها فلوس
وأنا مفلس خالص
وأنا برده مبسوط
وشايف كيفى خالص .

لعنة الله على هذا البرد !

(يدخل كريفوى زوب . وفى خلال ما بقى من الفصل يدخل رجال ونساء آخرون . يخلعون ملابسهم ويرقدون متضجرين على المصاطب)

زوب : لماذا هربت يا بينوف ؟

بينوف : تعال هنا . اجلس ولنغن . أغنيتى المفضلة ، هه ؟

التترى : لابد ان ننام بالليل . الغناء بالنهار .

ساتين : لا بأس يا حسن . تعال هنا .

التترى : ماذا تعنى بقولك لا بأس ؟ هذه ضجة . عندما تغنون تحدثون ضجة كبيرة .

بينوف : **(يتجه نحوه)** كيف ذراعك يا حسن ؟ هل بتروها ؟

التترى : لماذا ؟ سأنتظر . فقد لا تستدعى الحاجة قطعها . ليست ذراعى من الحديد الخردة . ستقطع بسهولة عندما يجيىء الوقت .

زوب : أنت انتهيت يا حسن . لم تعد تصلح لشيء بذراع واحدة . فان أمثالنا من الناس تقدر قيمتهم بقيمة أذرعهم وظهورهم . لا ذراع ، لا رجل . انتهى . هيا ، اشرب كأساً وانس كل شيء .

كفاشنيا : **(داخلا)** سعيدة يا اخوان . يا له من جو ! برد ووحل . هل زوجى الشرطى هنا ؟

ميدفيديف : أنا هنا .

كفاشنيا : آه . لقد أخذت جاكتتى مرة أخرى . ويظهر انك شربت كأساً أو اثنين ، هه ؟ لماذا فعلت ذلك ؟

ميدفيديف : بمناسبة عيد ميلاد بينوف ... والبرد ... والوحل ...

كفاشنيا : امش على مهلك . الوحل ! لا تترنح كالقرد . هيا الى السرير .

ميدفيديف : **(متجها الى المطبخ)** أنا فعلا فى حاجة الى النوم . حان الوقت .

ساتين : ألست تعاملينه معاملة شديدة ؟

كفاشنيا : هذه هى الطريقة الوحيدة يا صديقى . لابد من الحزم مع رجل كهذا . عندما أخذته ليعيش معى قلت لنفسى : لعلى أجد فيه بعض الخير ، فهو من

رجال الشرطة وأنتم مجموعة من السكيرين ، وانا امرأة مسكينة لا تستطيع الدفاع عن نفسها ، ولكنه بدأ فى الشرب على الفور . لا يمكن أن أقبل شيئاً كهذا .

ساتين : جبتك يا عبد المعين تعيننى ...

كفاشنيا : لم أجد رجلا أفضل منه . فأنت ما كنت لتعيش معى ... وانت نفسك كبيرة هكذا . وحتى اذا عشت معى ، فلم يكن ذلك ليدوم اكثر من أسبوع . كنت ستلعب بى القمار فتخسرنى أنا وكل ما أملك .

ساتين : **(ضاحكا)** أنت على حق يا مرأة . كنت أخسرك فى القمار بدون شك .

كفاشنيا : هل رأيت ؟ اليوشكا !

اليوشكا : أنا هنا .

كفاشنيا : ما هذه الاشاعات التى تطلقها عنى ؟

اليوشكا : ما هى الا الحقيقة . قلت له لقد تزوجت امرأة عظيمة . امرأة هائلة . كتلة من اللحم والشحم والعظم بدون مخ .

كفاشنيا : هذا كذب . أنا مخى كبير جداً . ولكن لماذا قلت أننى ضربت زوجى الشرطى ؟

اليوشكا : ظننت أنك لابد أن تكونى ضربته علقة يوم أن جرجرته من شعره .

كفاشنيا (**ضاحكة**) أحمق ! كان يجب أن تتظاهر بأنك لم تر شيئاً . لماذا ينشر الانسان غسيله القذر حتى براه كل الناس ؟ ثم انك جرحت احساسه . لقد أدمن الخمر بسبب كلامكم هذا .

اليوشكا : هذا مصداق المثل : حتى الفراخ تشرب .

(ساتين وكليش يضحكان)

كفاشنيا : ما أطول لسانك ! أى نوع من الناس أنت يا أليوشكا ؟

أليوشكا : أحسن واحد فى الدنيا ! أنا أجرب كل شيء ، وأمشي وراء أنفى أينما مشت .

ببنوف : **(بجانب مصطبة التترى)** تعال . لن نعطيك فرصة لتنام على أى حال . سنغنى طول الليل . زوب .

زوب : نغنى ؟ ولماذا لا ؟

اليوشكا : وسأعزف لكم .

ساتين : سنرى كيف .

التترى : (**مبتسماً**) يا شيطان ببنو ، هات الخمر . سنشرب . ونقضى وقتاً طيباً . سنموت يوماً ما .

ببنوف : املأ كأسه يا ساتين ! اجلس يا زوب ! ليس كثيراً هذا الذى يطلبه زميل لكم يا أصدقائى . هأنذا والخمر فى جوفى ، أسعد ما أكون . زوب ، ابدأ!

الأغنية ... أغنيتى المفضلة . سأغنى ... بأعلى صوتى ...

زوب : (**يغنى**) .

كل يوم الشمس تظهر

ببنوف : (**ينضم اليه**) .

وزنزانتى كئيبة وسودة

(على حين فجاة ينفتح الباب بعنف)

البارون : (**يصيح وهو بالباب**) هيه يا جماعة ! تعالوا . تعالوا بسرعة . الممثل شنق نفسه . هناك فى الأرض الفضاء .

(سكون . ينظر الجميع الى البارون . تظهر ناستيا خلفه وتمشى على مهل نحو المائدة وقد اتسعت عيناها)

ساتين : (**بصوت منخفض**) تك ! أفسد الأغنية ، هذا الأحمق !

ستار الختام